الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تجلّيات الوعي البيئي في شعر ابن خفاجة الأندلسي

-مقاربة في ضوء النقد البيئي-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر.

إعداد الطلبة:
* السَّلّامي بوكثير.
* سليم خادم.
* نور الدين حنيش.

إشراف الأستاذ:
* حمزة حماده.

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ/د: حمزة حماده	أستاذ التعليم العالي	مُشرفًا
أ/د: نوال بو معزة	أستاذ التعليم العالي	رئيسًا
أ/د: مريم كروش	أستاذ مساعد –أ–	مناقشا وممتحنًا

الموسم الجامعي: (1447/1446هـ)(2025/2024م)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تجلّيات الوعي البيئي في شعر ابن خفاجة الأندلسي

-مقاربة في ضوء النقد البيئي-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر.

إعداد الطلبة:
* السَّلّامي بوكثير.
* سليم خادم.
* نور الدين حنيش.

إشراف الأستاذ:
* حمزة حماده.

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ/د: حمزة حماده	أستاذ التعليم العالي	مُشرفًا
أ/د: نوال بو معزة	أستاذ التعليم العالي	رئيسًا
أ/د: مريم كروش	أستاذ مساعد –أ–	مناقشا وممتحنًا

الموسم الجامعي: (1447/1446هـ)(2025/2024م)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ المجادلة [11]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه ومن تلاه، أمّا بَعْدُ:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدَيَّ الكريمَيْنِ اللَّذَيْن كَدّا وجَدّا وضحيا بالكثير من أجل وصولي إلى هذا المستوى، وإلى عائلتي وزوجة خالي سعدية وأصدقائي وأساتذتي كل باسمه ومكانته خصوصًا المشرف العزيز حمزة حماده ومَنَارَتَيْ الكلية الأستاذتين الكريمتين: نوال بو معزة ومريم كرّوش، إليكم هذه الثمرة التي اهتممتم بشجرتها طوال السنين.

إلى أخوَيَّ الغاليَيْنِ (السَّلّامي بوكثير ونور الدين حِنّيش رفيقَيْ الدرب) وإلى (عبد الحميد ميمون، عز الدين بن علي، عبد المجيد مازوزي، محمد البشير التجاني، عبد الباسط كرثيو) وأهْدي هذا العمل إلى إخوتي الأعزّاء وأصدقائي الطّيّبين(سليمان العتري، عبد القادر غدير عمر، إلياس غنبازي، أنور مدخّل، محمد الأمين قدُّوري، عبد الحميد جويدة، التجاني فرجاني، البشير غميمة، علي قدُّوري، عبد الرزاق طبشي، الجيلاني نصيرة، عماد بوطيب، محمود بوتوقة، ولطفي خوظر) هؤلاء الإخوة الذين أمضيتُ معهم أجمل الأيام في التدريس والسفر والمرح، خصوصًا الرائع سليمان وإلياس العزيز والمميز عبد القادر الذين شجعوني على مواصلة التعليم وساعدوني كثيرًا فلهم مني فائق التقدير والمحبة، كما أهدي هذا العمل إلى تلاميذي الذين درّستهم وأمضيت معهم أروع اللحظات تلاميذ بلدية البرمة -ورقلة-

⁂سليم خادم⁂

إلى بقية السلف

إلى بقية الرجال المرابطين على الثغور .. الذين يدافعون عن شرف الأمة ومقدساتها

إليكم أنتم فقط مجاهدين وشهداء ..

أهدي هذا العمل

ارموهم ولو بعصا السِّنْوَار

⁂السَّلّامي بوكثير⁂

إلى نور عيني التي أرى بها الدنيا، وجسر الحب الصاعد بي إلى الجنة، إلى نبع الأمان الذي أستمد منه قوتي، واعتزازي بذاتي، إلى بسمة الحياة الجميلة ولحن الخلود وأجمل أغنية عزفتها الأيام، إلى سندي ومسندي واتكائي وكتفي وضلعي الثابت الذي لا يميل، إلى أمي الغالية حفظها الله ورعاها وأمد في عمرها بالصالحات.

إلى روح أبي الطاهرة إلى إخوتي: مسعود صابر، إبراهيم، سالم، إلى رفقاء الكفاح العلمي:

سليم خادم، السلامي بوكثير، صالح حراش.

إلى أساتذتي من داخل جامعتنا وخارجها، الذين تركوا بداخلي أثرًا أخلاقيًّا وعلميًّا لن تستطيع الأيام محوه:

الأستاذة الرائعة الدكتورة "نوال بومعزة"، الأستاذ المتألق الدكتور"ميداني بن عمر"، الأستاذ الدكتور "يوسف وغليسي"، الأستاذ الدكتور "فيصل الأحمر".

إلى كل من علمني حرفًا أصبح سَنَا برقه يُضيء الدروبَ أمامي.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.

⁂نور الدين حِنِّيش⁂

شكر وعرفان

نتقدم بالشكر والتقدير للمشرف العزيز الذي أسهم معنا في إنجاز هذه المذكرة توجيهًا وتصحيحًا وإرشادًا، فنسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء، ويجزل له العطاء، ويرويه شربة من حوض خير ماء.

شكر وعرفان إلى الأستاذ الدكتور المشرف:

⁂ حمزة عماده ⁂

لا يَشكرُ اللهَ مَن لا يَشكرُ الناسَا ⁂ ولا تَقَـــلّدَ إحسانًا وإحساسَا
أستاذُنا جـادَ بالعلم الجميلِ وما ⁂ ضَنَّ الجميلَ- ارتقى - ما كان بَخّاسَا
أَنْعِمْ به مُشرفًا كالبدر في غَسَقٍ ⁂ يُضيءُ دربًا لنا قـــد كان أغلاسَا
ما ثوبُه كان مِن دُرٍّ ولا ذهبٍ ⁂ لكنَّه فاقَ بالأخـــــلاق ألماسَا
يَغُوصُ في أبحُرِ العلْمِ العظيم لكي ⁂ يَستخرج الدُّرَ أضحى فيه غَطّاسَا
يا ربِّ باركْ له دنيا وآخرةً ⁂ واحفظْه يا ربَّ ممن كان وَسْوَاسَا
وارزُقْه عفوًا وغُفرانًا ومَكْرُمَةً ⁂ واجعلْ له مِن نعيم الخُلْدِ أكداسَا
ألبسْه يا ربِّ مِن ثَوْبِ الجِنان حُلًى ⁂ واغرسْ له مِن جميل الخير أغراسًا
وربِّ صَلِّ على الهادي وصُحْبَتِهِ ⁂ مَنْ كان بالعلمِ والأخلاقِ نِبْرَاسَا

والحمد لله وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة:

لقد شَهِدَ الإنسانُ في زمن ما بعد الحداثة نقلةً نوعيةً كبيرةً في العلوم الإنسانية والتجريبية، وتطورًا في شتى المجالات بُغْيَةَ ترقية مستوى العيش، وقد تطلبتْ تلك النقلةُ النوعيَّةُ ثورةً صناعيةً وفكريةً واسعة النطاق تقومُ على استغلال الثروات والموارد البيئية، لكنَّ الإنسانَ أفرط في الاستغلال مما أدى إلى ظهور أزمات بيئية كبيرة منها؛ (مأساة بحر آرال، وكارثة غابات هايتي، وثقب الأوزون، وانقراض كائنات حديثًا منها؛ وحيد القرن الأسود وطائر الدُّودو وسلحفاة بينتا العملاقة وماعز البرانس وشجرة قنديل البحر...)، كُلُّ ذلك دَقَّ ناقوسَ الخطر الذي بدأ يهدد حياة الكائنات الحية وغير الحية على سطح الأرض، فتأزمتْ علاقةُ الإنسانِ مع البيئة بسبب سوء استغلالها واستنزاف مواردها بشكل غير صحيح، وتنصيبِ نفسه سيّدًا عليها، مما أفقدها الكثيرَ من مظاهرها التي كانت تتميز بها.

لم يغفل الإنسانُ عن تلك المشاكل فحاول حلها أو على الأقل توعية غيره بها، إمّا من قِبَل مُنظمات عالمية أو محلية تهتم بالبيئة وتريد المحافظة عليها كَسَنِّ قوانينَ تَحْظَرُ الصيدَ الجائرَ وإنشاء مَحْمِيَّاتٍ وحَمَلَاتٍ تَحْسِيسِيَّةٍ، أو التوعية باستخدام التقنيات والإشهار والفنون والأدب، وهذا الأخير وجد قَبولًا وصدًى واسعًا في الأوساط الاجتماعية والثقافية والعالمية فظهر ما يُسمّى بأدب البيئة وأدب الكوارث كردة فعل سببها تفاعلُ الأدب مع علم البيئة، وبما أنَّ النقدَ قرينُ الأدب ويتفاعلُ معه اكتسبَ الطابع البيئي الطبيعي فظهر ما يُسمّىَ بالنقد البيئي.

مِنْ هنا جاءت هذه الدراسةُ للبحث في أصول هذا الحقل المَعْرِفِيّ الجديد مستجليةً مصطلحاتِه، ومفاهيمَه النظريَّةَ، مُحَاوِلةً تَطبيقَ مقولاتِهِ وأدواتِهِ وآليَّاتِهِ الإجرائيَّةِ التطبيقيَّةِ على الأدبِ العربيّ، وبما أنَّ الشِعْرَ ديوانُ العربِ كان لزامًا علينا التنقيبُ في تراثنا الشعري الوافر الزاخر بالمادة الخصبة للدراسة، وبما أنّ الشعرَ الأندلسيَّ أشهرُ أدبٍ تَحَدَّثَ عن الطبيعة في الأدب العربيّ اخترناه مادةً لدراستنا إذْ تُعَدُّ الأَنْدَلُسُ جَنَّةَ اللهِ في أَرْضِهِ وشِعرُها انعكاسٌ لطبيعتها، فجاء موضوعُ دراستِنَا مَوْسُومًا بـ" تَجَلِّيَاتِ الوَعْيِ البِيئِيِّ فِي شِعْرِ ابْنِ خَفَاجَةَ الأَنْدَلُسِيِّ – مُقَارَبَةٌ فِي ضَوْءِ النَّقْدِ البِيئِيِّ –".

وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات التي تناولت النقد البيئي بشيء من الدرس والتقصِي واستعراض مفاهيمه ومصطلحاته، ومحاولة مقاربة بعض النصوص وفق آليات هذا المنهج،

إلا أنّ هذه الدراسات يَتَخَلَّلُهَا بعضُ التقصيرِ، وإنِ اجتهدَ أصحابُها وأصابوا في جانبها النظري، إلا أنهم حين حاولوا تطبيقَ المنهجِ جذبتهم تياراتُ مناهجَ أخرى كالأُسْلُوبِيِّ مثلًا والبِنْيَوِيِّ، حتى طغت المناهجُ المساعدةُ على المنهج الرئيس، منها على سبيل المثال ما قام به الناقد الجزائري (فريد عوف) في منجزه النقدي (النقد البيئي: الرؤية والتطبيق دراسة لنماذج شعرية المدينة والريف للشاعر الجزائري عبد الملك بو منجل)، وما قامت به الطالبة (لقدم إيمان) في دراستها الموسومة بـ(رواية كاماراد للصديق الحاج أحمد في ضوء النقد البيئي)، ودراسة (إسلام ربيع السعيد عطية) في دراسته (أنسنة الطبيعة الصامتة في شعر ابن خفاجة ت 533هـ) دراسة في ضوء النقد البيئي (الإيكولوجي)، لذلك جاءت دراستُنا تطبيقيةً محاولةً سَدَّ فَجَواتِ بعضِ هذه الدراسات واستدراكَ ما غفلوا عنه.

وقد كان حبُّ الاستكشافِ والاطّلاعِ وحداثةُ هذا النقد دافعًا لاختياره موضوعًا لهذا البحث، كما أنه مواكبٌ لما يَحْدُثُ في البيئة من تغيرات خَطِرَةٍ تَتَطَلَّبُ منا التوعية بها، ومنه فإنّ أهميَّةَ هذه الدراسة تَكْمُنُ في إظهارِ علاقةِ التفاعلِ بين الأدب والبيئة، ورفع الحجاب عن نوع جديد من النقد الأدبي في هذا العصر، وكشف الوعي البيئيّ في الشعر الأندلسيّ القديم؛ لإظهار مدى الصلاحية والاستدامة والمُرونة التي مازال يَمتلكها الشعر القديم.

بناءً على ذلك تطرح هذه الدراسة إشكالية رئيسة هي:

كيف تجلى الوعي البيئي في شعر ابن خفاجة الأندلسي؟

وتتفرع عن الإشكالية الكبرى تساؤلات فرعية هي:

– ما مفهوم النقد البيئي أو الإيكولوجي؟ وما أهم مقولاته ومصطلحاته النقدية؟

– كيف كانت إرهاصات هذا النقد ونشأته؟ وما أهم مراحل تطوره؟ وفيمَ تكمن اهتماماته؟

– هل وافق شعر ابن خفاجة معايير بويل البيئية؟

– فيمَ تكمن تجليات الوعي البيئي في شعر ابن خفاجة الأندلسي؟

– ما المقولات النقدية البيئية التي احتواها شعر ابن خفاجة؟ وما الرؤى البيئية والجمالية والفلسفية والمضمرات البيئية التي حملها؟

وللإجابة عن الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية أنجزنا بحثنا هذا، وقد جاء مُكونًا من مَقَدّمَةٍ ومَدْخَلٍ وفَصْلَيْنِ وخَاتِمَةٍ.

أما **المدخل؛** فهو بعنوان "الأدب والبيئة" مكون من أربعة مباحث: المبحث الأول: مفهوم البيئة لغةً واصطلاحًا، والمبحث الثاني: مكانة البيئة في فكر القدامى (اليونان والعرب)، والمبحث الثالث: علاقة الأدب بالبيئة، والمبحث الرابع: مفهوم الأدب البيئي ومعايير تَبَيُّؤ النص الأدبي.

وأما **الفصل الأول؛** جاء بعنوان" الجانب النظري والإجرائي للنقد البيئي" وهو فصل نظري تم قسيمه إلى أربعة مباحث: المبحث الأول: مفهوم النقد البيئي، والمبحث الثاني: إرهاصات النقد البيئي ونشأته وتطور اهتماماته، والمبحث الثالث: مقولات النقد البيئي وأهم مصطلحاته الإجرائية، والمبحث الرابع: ملامح النقد البيئي في النقد العربي القديم.

وأما **الفصل الأخير؛** فهو تطبيقيّ موسوم بـ" تَجَلِّيَاتِ الوَعْيِ البِيئِيِّ فِي شِعْرِ ابْنِ خَفَاجَةَ الأَنْدَلُسِيِّ " فيه تم تطبيق آليات النقد البيئيّ على شعر ابن خفاجة الأندلسيّ، وهو من ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول: تمرير شعر ابن خفاجة على معايِير (لورنس بويل)، والمبحث الثاني وصف الطبيعة الصامتة والحيّة وتجليات الوعي البيئيّ فيهما، والمبحث الثالث: الرؤى الجماليّة والفلسفيّة في شعر ابن خفاجة، ثم خاتمة تم فيها استخلاص معلومات البحث وإيجازها.

وقد فَرَضَتْ علينا طبيعةُ الدراسة تنويعًا منهجيًّا لكن بقدر يسير لا يطغى على المنهج الرئيس، حيث سَنَنْتَهِجُ المنهج التاريخي مع آليتَيْ الوصف والتحليل لِسَبْرِ أَغْوَارِ الجانب النظريّ للدراسة، أما في جانب الدراسة التطبيقيّ فَسَنَعْتَمِدُ فيه النقدَ البيئيَّ مُحَاوِلِينَ تطبيقَ إجراءاتِهِ ومقولاتِهِ في المُقارَبَةِ البيئيَّةِ.

وقد اعتمدنا مصادرَ ومراجعَ نذكر منها: "البيئة ومشكلاتها" لرشيد الحمد محمّد سعيد صباريني، "النقد البيئيّ ونظريّة الأدب" لعبيد جودت عبد الحافظ، "شعر الطبيعة" في الأدب العربيّ لسيد نوفل، " النقد البيئيّ بين التنظير والتطبيق" للورنس بويل وآخرين، " أهمية النقد البيئيّ في الدراسات النقدية" لمحمد أبي الفضل، " النقد الأدبيّ البيئيّ مقدمة في النظريّة والإجراء" لبنين سمير عيسى، و"ديوان ابن خفاجة الأندلسيّ."

دون أنْ ننسى بعضَ الصُّعوباتِ التي واجهتنا نذكر منها: قلة مصادرِ ومراجعِ الموضوع ورقيًّا وحتى إلكترونيًّا نظرًا لحداثَتِهِ وقلّة اشتهارِهِ لدى النُّقَّاد، وعدم نُضْجِ المُحاولات السابقة في إرساء الجانب التنظيريّ والجانب التطبيقيّ، وقد استطعنا التَّغَلُّبَ على هذه الصُّعُوبات، وحَاوْلنا جاهدين الإجابة عن إشكاليّة الدراسة وتساؤلاته المطروحة، وفي الأخير لا يَسَعُنَا إلا أنْ نَحْمَدَ اللهَ على توفيقِهِ وتَيْسِيرِهِ ومَنِّهِ وفَضْلِهِ، ونتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان للمشرف الأستاذ الدكتور"**حمزة حماده**" على دعمه وتوجيهاته وتصويباته طوال مرحلة إنجاز المذكرة، كما نشكر جميع من أسهم في مساعدتنا وساندنا في إنجاز هذا البحث ولو بحرف من قريب أو بعيد، كما ما قاله رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أبو سعيد الخضري "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ "، وصلّى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسلّمَ تسليمًا كثيرًا.

إعداد الطلبة: السَّلّامي بوكثير، سليم خادم، ونور الدين حِنِّيش: وادي سُوف ووَرِقْلَة (الأحد 6 ذو القعدة 1446هـ/ 4 ماي 2025م)

مدخل: الأدب والبيئة:

أولاً: مفهوم البيئة لغةً واصطلاحًا.

ثانيًا: مكانة البيئة في فكر القدامى (اليونان والعرب).

ثالثًا: علاقة الأدب بالبيئة.

رابعًا: مفهوم الأدب البيئي ومعايير تَبَيُّؤ النص الأدبي.

في هذا الفصل سنحاول التعرف على مفهوم مصطلح النقد البيئي ونشأته وتطوره والبحث في جذوره، وهذا الفصل يسعى إلى إعطاء الدارس خلفية معرفية نظرية لهذا النقد الجديد والتعريف به وبنُقّاده وآلياته الإجرائية.

أولاً: مفهوم البيئة لغةً واصطلاحًا:

يُعدُّ مصطلحُ البيئةِ من المفاهيم المنتشرة جدًّا خصوصًا في الآونة الأخيرة لما له من دلالات وأبعاد، فالبيئة في اللغة تعود إلى الجذر " بَ وَ أَ " الذي يحمل دلالة الرجوع كما ذكر أهل اللغة والمعاجم: « بَوَأَ: بَاءَ إلى الشَّيْءِ يَبُوءُ بَوْءًا: رَجَعَ »[1] وتعني الاتخاذ، والاستقرار، و« بَوَّأْتُكَ بَيْتًا: اتَّخَذْتُ لَكَ بَيْتًا، وَالتَّبَوُّؤُ أَنْ يُعْلِمَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ عَلَى مَكَانٍ إِذَا أَعْجَبَهُ لِيَنْزِلَهُ، وقِيلَ تَبَوَّأَهُ: أَصْلَحَهُ وهَيَّأَهُ، والبِيئَةُ والبَاءَةُ والمَبَاءَةُ: المَنْزِلُ »[2] و « بَوَّأَهُ كَأَبَاءَهُ: أَنْزَلَهُ المَكَانَ، والاسمُ البِيئَةُ بِالكَسْرِ وَالمَبَاءَةُ كالبِيئَةِ والبَاءَةِ »[3]، إذًا فدلالة كلمة البيئة تَحْمِلُ معنى الرجوع، والاستقرار، والمنزل، والإصلاح، والتهيئة والسكن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأعراف [74]، وليس معنى البيئة في المعاجم الحديثة ببعيدٍ عن ما سَلَفَ من المعاني فقد وردتْ بمعنى « المَكَان الذي تَتَوَافَرُ فيه العَوَامِلُ المناسِبَةُ لِمَعِيشَةِ كَائِنٍ حَيٍّ أَوْ مَجْمُوعَةٍ مِنْ كَائِنَاتٍ خَاصَّةٍ »[4].

إنَّ مُتَتَبّعَ جِذْرِ كلمة البيئة في اللغة يجدها تَحْمِلُ معانيَ (السكن، التهيئة والاستقرار الذي يُمَكّنُ الكائناتِ الحيةَ من النزول فيها والإقامة، ويُعَدُّ مصطلح البيئة مصطلحًا شائعَ الاستخدام في الأوساط والقضايا العلمية الحديثة والمعاصرة، وإنْ كانت دلالتها في الجانب اللغوي مرتبطة بالسكن، التهيئة والإصلاح، فإنَّ دلالتها في الاصطلاح مرتبطة بنمط العلاقة بينها وبين

---

(1) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (630 –711 هـ)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (ط–1)، (د–ت)، ص382.

(2) المصدر نفسه، ص382.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، (د–ط)، 1429 هـ /2008 م، ص 171.

(4) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة، (ط–1)، مجلد 1، 1429هـ/2008، ص 258.

مستخدمها فهي « كُلُّ ما يحيط بنا من مجموعة الظروف الطبيعية والثقافية التي تعيش فيها الأحياء و تنمو»[1]، والبيئة بالنسبة للإنسان أنواع عدة « فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى، والبيت بيئة، والمدرسة بيئة، والحي بيئة، والقُطْر بيئة، والأرض بيئة والكون بيئة »[2]، ولكل بيئة ميزات مختلفة عن غيرها، فليست بيئة الصحراء مثل بيئة الجبال في كائناتها ولا مناخها، وليست بيئة السهول والغابات كبيئة البحر والجليد في مناخها وصفاتها، وقد « لاحظ ثيوفراستوس أن النباتات لا تزهر إلا في الأماكن المناسبة لسماتها الجوهرية ...، وأنّ بعض النباتات تنمو في نطاق ضيق من الظروف المواتية وبعض الأشجار فقط قادرة على النمو في الجبال...»[3].

إذًا فالبيئةُ هي المسكن الأساس للكائنات الحية الذي يجب أن يتوفر على ظروف خاصة تسمح لأجناس معينة وأنواع محددة من الكائنات بالعيش فيها دون غيرها، ولها سماتٌ وخصائصُ مختلفةٌ عن غيرها مما يُحْدِثُ تَعددًا في البيئات وتنوعًا فيها وفي نظامها.

ثانيًا: مكانة البيئة في فكر القدامى (اليونان والعرب):

تختلف البيئة من مكان لآخر وتتفاوت في الصفات والكائنات والمميزات، واختلافها هذا يؤثر في المقيم بها على أكثر مِنْ حالٍ أَكْلًا وطَبْعًا وصِنْفًا ونَوْعًا وحتى فكرًا، إذْ إنّ مَنْ يَسكن الصحراء ليس كمن يسكن السهول في الطبع واللون والفكر وهذا الاختلاف آية من آيات الله ﷻ القائل في مُحكم التنزيل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم [22]، وما ذلك الاختلاف إلا من أجل إيجاد التوازن المطلوب في الكون بحسب ما قدره بارئ هذا الكون قال تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر [49]، وقد تأمّلَ الإنسان منذ القدم في الكون والبيئة واختلفَ مكانُ البيئة في فكره من إنسان لآخر ومن فكر لآخر حتى تباين الاختلاف في فكرهم تُجاهَها تباينًا ملحوظًا، فلليونان القدامى تفكيرٌ ونظرةٌ مُخْتلفةٌ للبيئة عن العرب القدامى.

---

[1] أعضاء كتابة الدولة المكلفة بالماء والبيئة، مصطلحات البيئة والتنمية المستدامة معجم عربي فرنسي، مجلة جغرافيا المغرب، المغرب الأقصى، (د–ت)، ص5.

[2] رشيد الحمد محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، الكويت، 1979م، ص14.

[3] جبوري غزول، علم البيئة، تر: رشا صلاح الدخاخني، هنداوي، (د–ب)، 2023م، ص18.

أ) البيئة في فكر اليونان:

إنّ البيئة في الفكر اليوناني القديم قد كانت بيئةً خِصبةً وجناتٍ فيها من كل الثمرات وحدائقَ ذات بهجة، عُرِفَ أهلُها بالحكمة والفلسفة والتأمل وقد عَدَّ الفيلسوفَ والمفكر **أفلاطون PLATO (427-347 ق.م)** الواقعَ المَعِيشَ مُجَرّدَ صورة مزيفة للعالم الحقيقي -عالم المثل- فهو لا يضع للبيئة أهميةً لكونها مجردَ صورة مزيفة وقد قدم في كتابه " الجمهورية " « ترتيبًا للفئات البشرية من دون النظر إلى غير البشر واصفًا البيئة بأنها صورةٌ باهتةٌ عن العالم الحقيقي لذا لم تكن من اهتماماته »[1]، هنا نجد أن أفلاطون بإهماله للبيئة يتوافق تمامًا مع الفلسفة المثالية التي يتبنّاها، فأفلاطون ذو توجُّهٍ مثاليٍّ والمثاليةُ؛ هي التجرد من الموجودات المادية والمحسوسات من أجل الوصول إلى العالم الحقيقي -عالم المثل- « وقد دفعتْ سَطْوَةُ اليُوتوبيا أفلاطونَ إلى الإقرار بقلة فائدة الطبيعة وعدم جدواها في تقديم المعارف العلمية التي يحتاجها الإنسان لذا فقد أهمل الطبيعة »[2]، إن نظرة أفلاطون استعلائية تجعل الإنسان مركزَ الكون لا الطبيعةَ، وقد لَمَّحَ أفلاطون إلى ذلك في محاوراته إذ يقول: « لِتَكنْ سمحًا معي يا عزيزي فأنا أحب العلم، لكن الريف والأشجار لا ترضى بتعليمي شيئًا بل رجال المدينة هم من يعلمونني »[3].

وقد انتهج **أرسطو ARISTOTLE (384-322 ق.م)** نهجَ أستاذه أفلاطون في بعض الأفكار كالفلسفة الأخلاقية والعقلية والدعوة إلى الفضيلة، لكنه اختلفَ في نظرته للطبيعة عن أفلاطون اختلافًا قليلًا وليس جذريًّا فهو يتوافق معه في النظرة الاستعلائية لكنه أضاف نظرة أخرى وهي النظرة الاستغلالية، حيث أننا نجد أرسطو يهتم بالبيئة والطبيعة في سبيل الانتفاع والاستغلال « فوضع الأدنى مُسَخَّرًا في خدمة الأعلى مُصَنِّفًا الإنسان في رأس القمة الكائنات وأعلاها ...، وهو بهذا التصنيف يُعَدُّ أوّلَ من أسس لفكرة الاستغلال »[4]، وقد ورد هذا صريحًا في كتابه "السياسة" بقوله: « لذلك ترى الثمار والحيوانات تكون مادة طبيعية يعرف الناس

---

[1] عبيد جودت عبد الحافظ، النقد البيئي ونظرية الأدب دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة، نور المعرفة، عمان، (ط-1)، 2023 م، ص 26.

[2] المصدر نفسه، ص26.

[3] المصدر نفسه، ص26.

[4] المصدر نفسه، ص26.

أجمعون كيف يستغلونها »[1]، إذًا فالبيئة في الفكر اليوناني كانت باهتة المكانة، يُنْظَرُ إليها بنظرة استعلاءٍ واستغلالٍ.

ب) البيئة في فكر العرب القدامى (في الجاهلية والإسلام):

إنّ البيئةَ عند العرب قد كانت ذاتَ أهميَّةٍ ومكانةٍ كبيرة سواء في الجاهلية أو بعد الإسلام، فقد اهتم العرب في الجاهلية بالطبيعة وعظموها وتَغَنَّوْا بالأمكنة والكائنات في أشعارهم وجعلوها سُنَّةً في نَظْمِ الشِّعْرِ، قال الشاعر **زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى (520–609م)** [من البحر الطويل]:[2]

1) أَمِن أُمِّ أَوفى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ ... بِحَومانَةِ الـــــــــــدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ
2) وَدارٌ لَها بِالرَقمَتَينِ كَأَنَّها ... مَراجِعُ وَشمٍ في نَواشِرِ مِعصَمِ

ويقول **لَبِيدُ بْنُ رَبِيْعَةٍ (ت 41هـ)**[من البحر الكامل][3]

1) عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها ... بِمَنًى تَأَبَّدَ غَـــــولُها فَرِجامُها
2) فَمَدافِعُ الرَيّانِ عُرِّيَ رَسمُها ... خَلَقاً كَما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها
3) دِمَـــــــــــنٌ تَجَرَّمَ بَعدَ عَهدِ أَنيسِها ... حِجَجٌ خَلَونَ حَلالُها وَحَرامُها

كما أن العرب كانوا يتأملون في جمال الحيوانات ويصفونها ويستأنسون بها فهذا **امْرُؤُ اَلْقَيْسِ (500 – 540م)** ينشد فيقول [4]: [من البحر الطويل]

1) مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعًا ... كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ
2) لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ، وَتَقْرِيْبُ تَـــــتْفُلِ

---

[1] عبيد جودت عبد الحافظ، النقد البيئي ونظرية الأدب دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة، ص26.

[2] علي حسن فاعور، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط–1)، 1988م، ص102.

[3] أحمد بن الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، هنداوي، (د–ب)، 2018م، ص95.

[4] المرجع السابق، ص77.

وقال **الشنفرى (ت 525م)** يستأنس بالحيوانات: [من البحر الطويل][1]

1) ولي دُونَكُمْ أهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأرْقَـــــــطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ
2) هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائِعٌ ... لدَيْهِمْ ولا الجَانِي بما جَرّ يُخْذَلُ

وقد كانت العربُ قديمًا قَبْلَ الإسلام تَهْتَمُّ بالنجوم من أجل حساب الأزمنة وتُفَصِّلُ في أسمائها، وتُدَقِّقُ في مطالعها ونوازلها وبروجها، بل كانت تَعْبُدُ أَحَدَ النجوم وهو الشِّعْرَى اليَمَانِيّ، وكانوا يسمون أبناءهم بأسماء عناصرَ من البيئة " صخر، بحر، وزهرة، فيصل، ريم، عباس، صقر، ثعلب، ..."، ومع البعثة المحمدية وظهور الإسلام، لم يَغْفَلْ هذا الدين عن البيئة التي هي من أهم عناصر حياة الإنسان بشكل عام، والإنسان المسلم بصفة خاصة، واعتنى بها أيّما اعتناءٍ وأمر بالمحافظة عليها واستغلالها بقدر الحاجة وعدم الإسراف في استغلال خيراتها يقول الله ﷻ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ المائدة [95]، **ويقول:** ﴿ * وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعام [141].

كما دعا الإسلامُ إلى الإصلاح في الأرض وعدم القضاء على النسل والحرث، وتوعد الذين يفعلون ذلك بالعقاب الشديد في الدنيا والآخرة فقال ﷻ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم [41]، كما بين القرآن الكريم الذي هو دستورُ هذه الأمة وقانونُها كيفيةَ استغلال الحيوانات وعناصر الطبيعة الأخرى من خلال طرح فكرة التسخير بقدر، حيث هَذّبَ سلوكَ الفرد والمجتمع في تسخير ما يُحيط به من مخلوقات حية وجمادات، يقول ﷻ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر [12]، **ويقول:** ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا

[1] إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط-2)، 1417هـ/1996م، ص59.

يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ النحل [80،81].

كما حثّ نبيُّ هذه الأمة المبعوث رحمةً للعالمين – رسول الله ﷺ – على الاعتناء بالمخلوقات وعدم قتلها، وبَيَّنَ ثوابَ من يعتني بها ويقوم على رعايتها حيث قال: { مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ إِلا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ }[1]، وقال: { مَنْ نَصَبَ شَجَرَةً فَصَبَرَ عَلَى حِفْظِهَا وَالقِيَامِ عَلَيْهَا حَتَّى تُثْمِرَ فَإِنَّ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُصَابُ مِنْ ثَمَرِهَا صَدَقَةً عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ}[2]، وكما بَيَّنَ ثوابَ من يعتني ويرعى مخلوقات الله في الأرض فقد توعَّد بعقاب من يفسد البيئة والكائنات التي تعيش فيها: { مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّ فُلانًا قَتَلَنِي وَلَمْ يَقْتُلْنِي مَنْفَعَةً }[3]، هذه هي نظرةُ الإسلام للبيئة، ويمكن القول في الأخير إنَّ البيئةَ في فكر القدامى كانت بين نظرتَيْنِ، نظرة استعلائية لا تُقِيم وزنًا معنويًّا وروحيًّا لها، بل هي نظرة منفعة واستغلال مادي محض لعناصر هذه البيئة وهذه النظرة هي الموجودة في فكر اليونان القدامى، ونظرة مخالفة لهذا الفكرة اليوناني القديم وهي نظرة العرب قبل وبعد الإسلام للبيئة بِعَدِّها مصدرًا للجمال والتفكر والاستئناس بها، وطبعًا الاستغلالِ والمنفعةِ المضبوطَيْنِ بقواعدَ وقوانينَ تجعل من هذا الاستغلال والمنفعة غير مُضِرَّيْنِ بها.

ثالثًا: علاقة الأدب بالبيئة:

إنّ الفنونَ الإنسانيَّةَ سواء أكانت مادية أم معنوية ماهي إلا تعبيرٌ ومحاكاةٌ وصدًى للطبيعة، وقد كان **الفيلسوف أرسطو(384–322 ق.م)** أول من اتّضَحَتْ لديه هذه الفكرة في نظريته الشعرية المحاكاتية، فالطبيعةُ تُمَثِّلُ مُنْطَلَقَ الإبداع إذْ كانت الفنون في أولى تمظهراتها محاكاةً وتقليدًا للفن، وكان لا بدّ للفنان والأديب من محاكاة ما في الطبيعة من أشكال وصور وجمال، كما يَستخدم موادَها الخامَ في إبداعه وتشكيل خياله وتعبيراته الفنية، فهي « تحتوي من حيث

---

(1) محمد جبار هاشم الجبوري، أطروحة دكتوراه بعنوان فقه البيئة في الشريعة الإسلامية، جامعة الكوفة، العراق، (1432هـ/2011م)، ص50، نقلا عن البخاري، صحيح البخاري 78/7.

(2) المرجع نفسه، ص 50 نقلاً عن أحمد بن حنبل، مستد أحمد 61/4، دار صادر، بيروت، لبنان (ب–ت).

(3) المرجع نفسه، ص 50 نقلا عن أحمد بن حنبل، مستند أحمد 389/4، دار صادر، بيروت، لبنان (ب–ت).

الشكل واللون على جميع العناصر التي نجدها في اللوحة الفنية »[1]، إن الفنانين والشعراء يحاكون الطبيعة ويستعيرون منها صورهم ويستخدمون معاجمها وقواميسها اللغوية في أعمالهم ويستمدون منها إلهامهم، فالطبيعةُ بيئةُ الإنسان المادية التي يتأمل فيها ويفكر في حيزها فنرى أشعاره نُسِجَتْ من مُعجمها، ونرى آثره في النَّحْتِ تُحاكي عناصرها من جماد ونبات وحيوان، إذًا « الفنَّ الشعري بهذه الصلة يتمثل الطبيعة تمثيلًا دقيقًا، ومن اليسير أن تَبِينَ فيه البيئة بأنهارها، بحارها، سهولها، جبالها، وحيوانها، وبما يَسُودُها من أنظمةٍ وما غُيِّرَ لها من تاريخ »[2]، ولو عدنا إلى الحضارات القديمة لوجدنا علاقة الفنون والأدب بالبيئة موجودةً، وهي تتجلى بشكل أقوى فيها، فمثلًا نجد الطبيعة في الحضارات القديمة تتجلى في حروف كتابتها، وفي زخارفها وفي تماثيلها، بل في نقوش الذهب والفضة والحُلِيّ الملكية إذْ نجد صورة الأفعى والخنفساء...

إنّ العلاقةَ بين الفنون والأدب والطبيعة كانت موجودةً منذ الأزل والإنسان الأول، فهي مُتَمَظْهِرَةٌ في رسوماته ونقوشه في الكهوف، وكما تأثّرتْ الحضارات القديمة بالبيئة، كذلك تأثّر العربي بها، وبها افْتَتَنَ، فنراه استوحى أسماءَهُ من الطبيعة كاسم "صخر، ليث، ريم، بحر، ياسمين، زهرة..."، كما كانت طِبَاعُهُ تتأثر بالمحيط البيئي الصحراوي القاسي، وقد أثرت البيئة في نمط عَيْشِهِ وتفكيرِهِ ولُغَتِهِ، وقد تجلى ذلك في ديوانه الشعري الذي كان مليئًا بالألفاظ والصور والكائنات البيئية والطبيعية؛ وذلك في شعر الطَّرْدِيّات الذي وصف الطريدة والبيئة بصورة دقيقة في شبه الجزيرة العربية، ثم أَفْرَدَ بابًا خاصًّا متعلقًا بوصف الطبيعة الخلابة وصف فيها الطبيعة الصامتة، والطبيعة الحية في **شبه الجزيرة الإيبيرية « الأندلس »**[3]، فظهرت مجموعات شعرية تُسَمَّى"الزهريات، والنواريات، والمائيات، والروضيات، والثمريات، والثلجيات"، وهي قصائدُ تَصِفُ الطبيعةَ من مَطْلَعِهَا إلى خَاتِمَتِها، أي أنها أصبحتْ غَرَضًا مُسْتَقِلاً بذاته عكسَ ما كانت عليه في شبه الجزيرة العربية حيث كانت شذراتٍ في متن القصائد مختلطةً مع أغراض شعرية أخرى كالغزل، المدح، الهجاء..، ففي الأندلس كانت الطبيعة خلابة ذات بهجة وجمال ساحِرَيْنِ، افتتن بها الشعراء فقالوا فيها ما قالوا حتى إذا قال أحدهم مَصْطَلَحَ شعر

---

(1) ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، مصر (د- ت) ص 44.

(2) سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، 1945م، ص14، نقلاً عن B,Brown : The Fine Atts:1920,p,7.

(3) ينظر: الملحق، ص 60 -62.

الطبيعة انصرفت الأذهان إلى شعراء الأندلس وشِعْرِهِمْ، ويُعَدُّ الشاعرُ الأندلسيُّ " **ابْنُ خَفَاجَةَ (450–533هـ)** " أشهرَ شعراء هذا الغرض حتى « عَدَّه النقاد مدرسةً فنيةً بذاتها وعَبَّرُوا عليه بعبارة النَّزْعَة الخفاجية »[1]، إذًا فقد كانت العلاقة بين الأدب والبيئة علاقةً وطيدةً منذ القِدَمِ، حيث يأخذ الأديب منها أساسيات إبداعه ويَسْتَوْحِي منها أفكارَهُ ويُزَيِّنُ بها أدبَهُ وفنونَهُ.

رابعًا: مفهوم الأدب البيئي ومعايير تَبَيُّؤ النص الأدبي:

أ – مفهوم الأدب البيئي:

إنّ مفهومَ الأدب قد خاض فيه الكثير من الباحثين لغةً واصطلاحًا فلا نرى داعيًا لإعادة تعريفه مرة أخرى، إنما سنركز على تعريف مصطلح " **الأدب البيئي** " مباشرةً، لقد تأثر الأدب بالعلوم الإنسانية وظهرتْ ملامحُها فيه، وسمي باسمها وعندما تفاعلَ الأدب مع التاريخ ظهر مصطلح الأدب التاريخي، وعندما تفاعل مع علم الاجتماع، ظهر الأدب الاجتماعي وهكذا..، كذلك الأمر حصل مع الأدب عندما تفاعل مع البيئة والطبيعة فظهر ما يُسَمَّى بالأدب البيئي ويُمْكن تعريفه « بأنه نشاطٌ إبداعيٌّ مُفَكّرٌ فيه وبناءٌ فنيٌّ، تُحَرِّكُهُ مَقصديّات إيكولوجية وفنية وفلسفية وتدفعه نوازعُ الخوف من اختلاف العلاقات بين الكائنات وبيئتها »[2]، ويمكن تعريفه أيضًا على أنه « مشاركة إبداعية تهدف إلى التأسيس لِوَعْي بيئيّ جديد يَكُفُّ فيه البشر عن تخريب شروط الحياة، ويُعاد فيه النظر في أساليبهم في التعامل مع الكائنات التي تُقاسمهم الوجودَ على الأرض للتخفيف من المركزية البشرية التي يَحْتَكِرُها الإنسانُ لنفسه »[3]، وهو أيضًا « تيارٌ جديدٌ في الأدب نشأ في سياقات جديدة؛ سياقات الحروب الرعناء والتكنولوجيات المدمرة، والكوارث البيئية والأوبئة، لذلك فهو أدبٌ مُوَجَّهٌ لِتَعْرِيَة أضرار الإنسان النَّهِم المسعور الذي فتح جوفه ليبتلع كل شيء

---

(1) ينظر: محمد رضوان الداية في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، لبنان، (ط–1)، 1421هـ / 2000م، ص 122، لمزيد من المعلومات ينظر في الملحق، ص 63/62.

(2) يُنظر: خميسي آرامي، مقالة عنوانها" من أجل لغة خضراء محاولة في فهم أدب البيئة ونقده"، مجلة أبوليوس المجلد08 جويلية 2021 م، ص107.

(3) المرجع نفسه، ص107.

وأسس علاقة مشوهة مع بيئته قائمة على الإخضاع والإذلال والسيطرة بدل الاحترام والحوار بُغيَةَ توعيتِه ومُواجهتِه ورَدْعِهِ»[1].

إذًا فالأدب البيئي هو الكتابة الفنية التي تتفاعل مع البيئة ومشكلاتها وجمالياتها، وتصفها وتُعَبِّرُ عن سحرها ومأساتها، قصد رفع الوعي بالبيئة إما رفع الوعي بقيمتها وجمالها، أو الوعي بمأساتها والمخاطر والكوارث التي آلتْ إليها من تدميرٍ، وانقراض واستغلال لا عقلاني لخيراتها، ويكون التعبير عنها بالأدب شعرًا كان أم نثرًا، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الصِّنْفَ كان شذراتٍ في الآداب القديمة وكان يَحْمِلُ أسماءً عديدة مثل " الأدب الرَّعَوِيّ، شِعْرُ الطبيعة، وأناشيد الرُّعاة "، وكما أنّ الأدبَ تَأَثَّرَ بالبيئة وجماليتها ومشكلاتها، كذلك تأثر النقد الأدبي بها أيضًا فظهر ما يُصطلح عليه اليوم بمصطلح " **النقد البيئي**".

ب- معايير تبَيؤ النص الأدبي:

هناك معاييرُ إذا وُجِدَتْ في نصّ أدبيّ نقول عنه إنه يندرج ضمن الأدب البيئي، وقد حَدَّدَها **لورنس بويل Buell Lawrance (1939م)**، وصاغها في كتابه" **الخيال البيئي**" وهي أربعة معايير:

1) « البِيئَةُ غَيْرُ البَشَرِيَّةِ مَوْجُودَةٌ لَيْسَتْ فَقَطْ كَأَدَاةٍ، وَلَكِنْ كَحُضُورٍ يَبْدَأُ فِي الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ التَّارِيخَ البَشَرِيَّ مُتَوَرِّطٌ فِي التَّارِيخِ الطَّبِيعِي »[2]:

أي أنّ البيئة غير البشرية موجودة وهي الركن الأساس الذي يُعتمد بناء النص، ويشير إلى أن التاريخ البشري متعلق بالتاريخ الطبيعي، والبيئة غير البشرية تصف الحيوانات وتُصَنِّفُها حَسَبَ البيئة المكانية التي تعيش فيها.

2) « أَنْ لَا يُفْهَمَ أَنَّ المَصْلَحَةَ الإِنْسَانِيَّةَ هِيَ المَصْلَحَةُ المَشْرُوعَةُ الوَحِيدَةُ »[3]:

بمعنى أن يعالج النص الأدبي مشاكل تخص الحيوانات والبيئة، وعدم جعل المركزية لمصلحة الإنسان على حساب مصلحة الطبيعة والحيوانات.

---

[1] يُنظر: خميسي آرامي، مقالة عنوانها" من أجل لغة خضراء محاولة في فهم أدب البيئة ونقده"، ص107.

[2] لورنس بويل وآخرون، النقد البيئي بين التنظير والتطبيق، تر: معتز سلامة، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، 2021م، 1444هـ، ص70.

[3] المصدر نفسه، ص 70.

3) « المُسَاءَلَةُ البَشَرِيَّةُ تُجَاه البِيئَةِ جُزْءٌ مِنَ التَّوَجُّهِ الأَخْلَاقِيّ »[1]:

أي تتوفر النصوص الأدبية على توجهات أخلاقية، والشعور بالمسؤولية في الحفاظ على البيئة وكائناتها، ويكون ذلك من خلال عرض مشاكل البيئة وأسبابها وطرح حلول لها أو النهي عن التصرفات التي تؤذي البيئة.

4) « بَعْضُ الشُّعُورِ بِالبِيئَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ نَهْجًا بَدَلًا مِنْ كَوْنِهِ ثَابِتًا أَوْ مُعْطًى فِي النَّصّ بِشَكْلٍ ضِمْنِيّ عَلَى الأَقَلّ »[2]:

إنّ النصوص الأدبية لكي تكون ضِمْنَ الأدب البيئي يجب أن تقول وتؤكد أن البيئة تتغير والتغير الذي يحدث لها قد يكون ذا أثار ونتائج سلبية وخيمة على كل الموجودات.

إذًا فَكُلُّ نص يحتوي على هذه المعايير ويتوافق معها يُمْكِنُنَا تصنيفه ضِمْنَ الأدب البيئي، وتجدر الإشارة إلى أنه ليس شرطًا توفُّرُ جميع هذه المعايير معًا في النص ليكون بيئيًّا، يكفي أنْ يتوفر معيارين أو ثلاثة فقط لِيُمْكِنَ عدُّ النصّ نَصًّا بيئيًّا.

خلاصة المدخل

إنَّ العلاقةَ بين الفنون –منها الأدب– والبيئة علاقة وطيدة عميقة منذ القدم، كما رأينا في فنون الرسم على جدران الكهوف والنَّحْتِ والزَّخَارِفِ والحُلِيّ المَلَكِيَّةِ، وقد كان للأدب نَصِيبٌ أيضًا إذْ ظهر أدب الطبيعة عند اليونان كالأدب الرعوي وأناشيد الرعاة، وفي الأدب العربي شعر الوصف والطرديات وشعر الطبيعة، والأدب البيئي له معاييرُ يجب توفرها في النص حتى يُعَدّ أدبًا بيئيًّا وهي معايير لورنس بويل الأربع، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الأدب قد بدأ ينتشر ويزدهر في الآونة الأخيرة في الأوساط الأدبية الغربية والعربية، وقد ظهر أدباء ومؤلفات وروايات كثير فيه منها: (" القطار الأخير من هيروشيما" لتشارلز بلغرينو، "شعب أنيمال" لإندرا سينا، "تغريب القافر" لزهران القاسمي، "حين اختفى النحل" لمايا لوندة، "عام الفيضان" لماغريت آتوود، "بيرقدار" لنظام حكمت، "هاربون من كورونا" لمصطفى القرنة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 70.

[2] لورنس بويل وآخرون، النقد البيئي بين التنظير والتطبيق، ص 70.

الفصل الأول: الجانب النظري والإجرائي للنقد البيئي

أولاً: مفهوم النقد البيئي.

ثانيًا: إرهاصات النقد البيئي ونشأته وتطوّر اهتماماته.

ثالثًا: مقولات النقد البيئي وأهم مصطلحاته الإجرائية.

رابعًا: ملامح النقد البيئي في النقد العربي القديم.

أولاً: مفهوم النقد البيئي:

إنّ الأدب والنقد يتأثر بالعوامل الخارجية ويتفاعل معها فتؤثر فيه إلى حد كبير مما يُكسبه لونًا جديدًا، فقد تفاعل الأدب والنقد مع التاريخ وعلم الاجتماع والعلم النفس واللسانيات؛ فظهرت لنا أنواع جديدة من الأدب والنقد تحمل ملاح التاريخ وعلم الاجتماع والنفس واللسانيات، وفي هذه السنوات الأخيرة نرى الأدب والنقد يتفاعلان مع علم البيئة ومشكلاتها وفلسفاتها مما أنتج لنا ما يُعرف باسم الأدب البيئي –عرّفناه في المدخل– الذي ظهر معه النقد البيئي كردة فعل.

أ) المفهوم:

تأثر النقد الأدبي بعلم البيئة ومصطلحاتها وفلسفاتها مما أنتج لنا ما يعرف باسم " **النقد البيئي Environmental criticism** ": « وهو النقد الذي يدرس العلاقة بين الأدب والبيئة المادية، فكما يبحث" **النقد النسوي feminist Criticism** " في العلاقة بين الأدب من منظور واع للجنس " **gender** " ومثل ما يستحضر " **النقد الماركسي MarxistCriticism**" وعيًا و إدراكًا لأنماط الإنتاج والطبقة الاقتصادية عند تعامله مع النصوص الأدبية، يتخذ "**النقد البيئوي**" منهجًا يرتكز على الأرض في تعامله مع النصوص الأدبية »[1]، وبما أن هناك أدبًا وشعرًا يتحدث عن البيئة ويصف الطبيعة في التراث القديم؛ فإن « نظرية هذا المنهج لا تكتفي بالتوقف حيال الأدب البيئي الجديد بل تعمد إلى نصوص قديمة ...، تحفر في التراث الأدبي لاستكشاف الوعي البيئي والخيال البيئي فيه »[2].

يُعرِّفُ الناقد **لورنس بويل Lourence Buell (1939م)** النقدَ البيئي على أنه « دراسةٌ للعلاقة بين الأدب والبيئة يتم إجراؤها بروح الالتزام بالتطبيق العملي لدُعَاةِ حماية البيئة »[3]، ومن جانب العرب المحدثين يُعَرِّفُهُ **جميل حمداوي (1963م)** فيقول إنه: « النقد الذي يهتم بدراسة النصوص والخطابات الأدبية أو المكان أو الأرض أو الحياة داخل الإبداع الأدبي

---

(1) جرج جرارد، النقد البيئوي، تر: عزيز صبحي جابر، الكلمة، أبو ظبي (ط–1)، 1430هـ/2009م، ص16/15.

(2) محمد أبو الفضل بدران، مقالة بعنوان: أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية (د– ت)، ص195.

(3) لورنس بويل وآخرون، النقد البيئي بين التنظير والتطبيق، ص 12.

والفني، وذلك بالتنظير والتحليل والقراءة والفحص والدراسات، بُغْيَةَ رصد رؤى الكُتَّاب والمثقَّفِينَ تُجاه البيئة »[1].

إذًا فالنقد البيئي هو ذلك النقد الذي يدرس النصوص والأعمال الأدبية والفنية سواء كانت شعرًا أم نثرًا، ليكشف لنا من خلالها عن علاقة الأديب ببيئته وموقفه من قضاياها وجمالية الوعي والخيال البيئي فيها، والجدير بالذكر أن هذا النقد ظهر نتيجة الأدب البيئي الذي انتشر في أوروبا و أمريكا وغيرها من البلدان، وقد كان هذا النقد ضروريًّا للتنبيه إلى ما وَصَلَتْ إليه البيئة من خراب ودمار بسبب الثورات الصناعية والتجارب الكيميائية، عكس ما هو عند العرب فقد كانت أشعارهم دائمًا تتغنى بجمال الطبيعة والبيئة التي يعيشون فيها خاصة الصحراء ورمالها والبادية وما فيها، وبعد مجيء الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية، ووصولها حتى بلاد الأندلس، تَغنَّى الكثيرُ مِنَ الشعراء بطبيعتها الخَلَّابة ومناظرها الأخَّاذة.

ب) مقارنة بين مصطلح النقد الإيكولوجي ومصطلح النقد البيئي:

يُعَدُّ الناقدان " **شيريل جلوتفيلتي** " **Cheryll Glotfelty**" و" **لورنس بويل** **Lourence Buell** " قطبَيْ هذا النقد في العالم، وقد اتخذ كل منهما مصطلحًا تميز به عن غيره، حيث اتخذت الناقدة **جلوتفيلتي** مصطلح " **النقد الإيكولوجي** **Ecocriticism** " بينما اتخذ **بويل** مصطلح "**النقد البيئي**Environmental criticism " ولا بدَّ من عرض أسباب اختيار كل منهما للمصطلح، فأما **جلوتفيلتي** **Glotfely** اختارت مصطلح **النقد الإيكولوجي** "**Ecocriticism**" و فضلتْهُ على غيره لأسباب عدة منها « أن الباحثين يحبون مصطلح " **Ecocriticism** " لأنه قصير ويمكن تحويله إلى أشكال أخرى مثل " **Ecocritical**" و " **Ecoritic**" مما يعني سهولة الاشتقاق منه »[2]، وكذلك لأن « الباحثين يفضلون "**Eco** " على " **Enviro**"؛ على غرار " **Ecology**"؛ أي علم البيئة؛ باكتساب صفة العِلْمِ »[3]، إذًا يعود سبب اختيار الناقدة **جلوتفيلتي** لهذا المصطلح لجعل هذا النوع من النقد يَكْتَسِبُ صفة

---

[1] جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، دار النابغة للنشر والتوزيع، المغرب، 2016، ص297.

[2] وداد نوفل، النقد البيئي الإيكولوجي بين التأصيل والتأسيس والمفاهيمي والطرح التطبيقي " رواية القندس أنموذجًا"، الريادة للنشر والتوزيع، مصر، (د– ط) 2022م، ص16.

[3] المصدر نفسه، ص16.

العلمية، وهي ترى أن النقد الإيكولوجي يَدْرُسَ « العلاقات بين الأشياء في هذه الحالة بين الثقافة البشرية، وبين العالم الفيزيائي المادي، أما النقد البيئي " **Enviro** " فدلالة لفظته تتمحور حول الإنسان وثنائية ما، يعني أننا البشر في المركز محاطون بكل ما ليس نحن – أي البيئةَ – " **Environment** " أما "**Eco** " فعلى النقيض من ذلك؛ حيث تشير إلى مجتمعات مترابطة وأنظمة متكاملة واتصالات قوية بين الأجزاء المكونة لهذا المجتمع »[1]، إنَّ اختيارَ جلوتفيلتي لمصطلح النقد الإيكولوجي كان أوَّلًا بسب اختصاره ولاكتسابه صفة العلمية، وثانيًا لكونه يَدُلُّ على ترابط وتكامل واتصال قوي بين المجتمعات وأجزائها.

أما الناقد **بويل** فقد اختار مصطلح « **النقد البيئي** " **Environment** " لأنه يعتقد أن البيئة " **Environment** " تُقاربُ بشكل أفضل من "**Eco** "، والذي يُعَدُّ مصطلحًا مُهجّنًا في الموضوع المَعْنِي كل البيئات " **Environments** " عمليًا التي تتضمن اندماج **الناصر الطبيعية** "**Natural**" و**المنشأة** " **Constructed** "»[2]، كما أنه اختار هذا المصطلح لكونه « يُجَسِّدُ بشكل أفضل إلى حَدٍّ ما المزيجَ مُتَعَدِّدَ التخصصات من دراسات الأدب والبيئة والذي استند دائمًا إلى العلوم الإنسانية والطبيعية، وفي السنوات الأخيرة تم تلقيحه عبر الدراسات الثقافية أكثر من الدراسات العلمية »[3].

إنَّ بويلَ يرى أنَّ" **Enviro** " تُقاربُ كل البيئات عمليًا التي تحتوي اندماج العناصر الطبيعية والمنشأة، وأنها ترتبط مع المناطق الحظرية والمناظر الطبيعية ومع القضايا البيئية التي تتحدى تركيز السياسة البيئية المبكرة على أدب الطبيعة.

إننا اخترنا في بحثنا هذا مصطلح" **النقد البيئي**" المترجم من المصطلح الذي جاء به الناقد بويل لما فيه من ميزات تخدم دراستنا هذه، فهو أفضل من المصطلح المعرب الذي جاءت به جلوتفيلتي، ولأنه يوجد ما يرادفه في التراث، وكذلك لأنه المختصر والأشهر في الساحة العربية هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد اعتمدنا في دراستنا هذه على" **معايير بويل**" في النقد البيئي ولا بدّ لنا من اعتماد مصطلحه – **النقد البيئي**–.

---

(1) يُنْظر: وداد نوفل، النقد البيئي الإيكولوجي بين التأصيل والتأسيس والمفاهيمي والطرح التطبيقي، ص16.

(2) يُنظر: المصدر نفسه، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص17.

ثانيا: إرهاصات النقد البيئي ونشأته وتطور اهتماماته:

أ) الإرهاصات والنشأة:

إنَّ أفكار الفلسفة اليونانية الاستعلائية والاستغلالية أدَّتْ مع مرور الزمن إلى ظهور أزمات، وأحدثتْ قطيعة مع البيئة وأحدثت مشكلات بيئية جمة، ممّا أدى إلى نشوء مجموعة من الحركات السياسية والحركات العلمية والاجتماعية التي تدعو إلى نبذ أفكار فلاسفة اليونان الداعية إلى مركزية الإنسان ومعارضتِها، ومن بين أهم تلك الحركات ظهرتْ حركات فكرية وفلسفية جعلت محور اهتمامها ونضالها البيئة وكائناتها، بُغية نشر الوعي البيئي بين أفراد المجتمعات وقد تَصَدّرَ **فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900م)** المشهدَ حيث خالف الفلسفة الاستعلائية اليونانية ومركزية الإنسان وقد « عَدَّ الفلسفة اليونانية تسير عكس الفطرة السليمة للإنسان مع بيئته»[1]، وعلى نهجه سار **أمبرتو إيكو Umberto Eco (1932-2016م)** الذي اهتم بالبيئة مشكلاتها في مقالته « "**رحلات في الواقع الفائق**" التي نشرها عام **(1975م)**، وهي مقالة قد نَبّهَ فيها إلى تضخم الأزمة وضرورة نشر ثقافة الوعي البيئي المماثل للواقع بما فيه من مشكلات وأزمات في محاولة لتعديل المسارات الفكرية والأخلاقية»[2]، ومن الذين اهتموا أيضًا بالبيئة ونشر الوعي البيئي نجد الفيلسوف **ماكس أولشلاجر MAX Olschlaeger (1943م)** حيث دعا إلى « ضرورة نشر الوعي المتمركز حول البيئة في المجتمعات الديمقراطية »[3] .

كما أن الفيلسوف **بول دبليو تايلور Paul W. Taylor(1923-2015م)** نقد مركزية الإنسان في الفكر اليوناني القديم فقد رآها « أحدثت فجوة بين الإنسان وغيره من الكائنات، وقد أَسَّسَ مفهوم **مركزية الحيوان (Biocentrism)** المناهِضة للأطروحة اليونانية التي عَدَّت الإنسانَ المقياسَ والميزانَ للمعاملات الحياتية »[4]، وفي تزايد المَنْحَى الداعي للاهتمام بالبيئة والمؤسسات ونظرًا لتزايد الكوارث الطبيعية، كان لزامًا على المفكرين والمبدعين – بِعَدِّ أنَّ

---

[1] ينظر: عبيد جودت عبد الحافظ، النقد البيئي ونظرية الأدب، ص30.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص31.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 31.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص31.

الأدب لا ينفصل عن الحياة والمجتمع – إنتاجُ نصوصٍ أدبيةٍ وإبداعيةٍ تُعالج البيئةَ وقضاياها ومشكلاتها، ومع ظهور هذه النصوص الإبداعية وازديادها « ظهر في الدرس النقدي ما يطلق عليه **بالنقد الإيكولوجي (Ecocriticim)** ليصبحَ حركة عالمية ناشئة خلال العقود الثلاثة الأخيرة المنصرمة من القرن الماضي» [1].

تُعد أول دراسة مهمة مؤسسة ومؤرخة لمصطلح النقد الإيكولوجي « **دراسة جوزيف ميكر Meeker–Joseph كوميديا البقاء على قيد الحياة The Comedy Of Survival عام 1970م** »[2]، إلا أن أول من صاغ المصطلح بشكل دقيق هو الناقد الأمريكي **هاو ويليام رويكرت Rueckert Willim Howe** في دراسته الموسومة بـ:" **الأدب والإيكولوجيا، تجربة في النقد الإيكولوجي** " **المنشورة عام 1978م Literatur and Ecology –An Experiment in Eocriticism**، وبالرغم من أنَّ أولى الدراسات التي استخدامت المصطلح كانت مع **جوزيف ميكر ووليام هاو روكيرت** إلا أن الاستخدام الأكثر شيوعًا للمصطلح قد ظهر مع صدور كتاب « **دليل قارىء النقد الإيكولوجي Eocriticism Reader" للناقدة شيريل جلوتفيلتي " Cheryll Glotfelty**" ثم ازداد انتشارُ هذا المصطلح مع الناقد **لورنس بويل " Buell Lawrance "**»[3]، وعلى شهرة جهود هؤلاء النُّقَّاد وكتاباتهم في الإنشاء والتمهيد للنقد البيئي إلا أنّ النقد البيئي « في حراكه النقدي العلمي يدين إلى **راشيل كارسون " Rachel Carson(1907–1964م)**" لتأليفها " **الربيع الصامت (1962م)** " »[4]، فهو الذي فَتَحَ الآفاقَ للدراسة العلمية وأسهم في تمثل المصطلح النقدي « بدءًا من شعريته في وصف أسراب الطيور، انتهاءً بتنبؤاته حول انهيار المنطقة، فمزجت بين الصور الجمالية، والمعلومات العلمية بمغزًى مفاده أن الدمار قادم لا محال في حال استمرارية الفكر الاستغلالي من دون ضبط أو قانون »[5] .

---

[1] ينظر: لورنس بويل وآخرون، النقد البيئي بين التنظير والتطبيق، ص11.

[2] المصدر نفسه، ص11.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 13.

[4] عبير جودت عبد الحفيظ، النقد البيئي ونظرية الأدب، ص44.

[5] المصدر نفسه، ص44.

قد قام هذا النقد في دراساته على مَنْظُورَيْنِ اثْنَيْنِ هما؛ « **الأول الحيوي:** يُعْنَى بدراسة مظاهر البيئة التي لا علاقة لها بالإنسان بوجودها، ودراسة تاريخها الطبيعي، من دون تناول تأثرها وتأثيرها، أي دراستها بالصفة العلمية، أما **المنظور الآخر فهو المنظور الثقافي:** والذي يُعْنَى بدراسة البيئة بوصفها موضوعًا ثقافيًّا يملك محددات وسمات متميزة فهو أوسع مفهومًا من المنظور الحيوي، إذ يرمي إلى دراسة البيئة تأثرًا وتأثيرًا لأنه منظورٌ ذو صِبْغَةٍ ديناميكية»[1].

في ضوء هذين المنظورين أو النظرتين للنقد البيئي نَسْتَشِفُّ أن الدارسِينَ سَعَوْا إلى الدفاع عن الطبيعة وحمايتها، وهو الشيء الذي أدى لظهور مؤسسات وحركات وتخصصات ومذاهبَ جعلت من البيئة موضوعًا وهدفًا للدراسة والتحليل كالعلوم البيئية والتربية البيئية والتاريخ البيئي و...، ويَمْكِنُ أنّ نحدد أربعةَ مذاهبَ حوت جُلَّ هذه الدراسات والحركات هي " **البيئة السياسية، والبيئة العميقة، والبيئة الاجتماعية والنسوية البيئية**"؛ أما **البيئة السياسية؛** فقد ظهرتْ بسبب تضخم المشكلات البيئية مما أدى إلى ضرورة سَنِّ وتشريع قوانينَ تَحُولُ دون زيادة تلك المشكلات، والعمل على الحد من النظرة الاستعلائية والاستغلالية للشركات العالمية، وإجبارها على المحافظة على البيئة وقد « تَمَثَّلَ المذهبُ البيئي السياسي في حركات سياسية وأحزاب خضراء، واحتجاجات تسعى إلى إعادة النظر في الثقافة السياسية ما بعد الكولونيالية، وهو يُقَدِّمُ مقاربةً بين الاقتصاد السياسي والحركات البيئية، ومن أنصار هذا المذهب "**سنايدر Snyder**" الذي تركتْ أفكاره أثرًا كبيرًا في المذهب، إذ قدم أفكارًا موسعةً في البيئة وفلسفتها والترابطات المعقدة بين الثقافة والطبيعة »[2].

أما مذهب **البيئة العميقة؛** فهو « يشجع على المساواة بين موجودات المحيط البيئي وأشكاله، فهو ذو نَزْعَةٍ مِثَاليَّةٍ لأن الوجود قائمٌ على مبدأ التوازن لا التساوي، وقد نادى بضرورة إنقاذ العالم الحَيّ، وإنقاذ الملايين من الأنواع الحَيَّة والمكوِّنات البيئية كالأنهار والغابات ووضع

---

[1] ينظر: ناجح المعموري وآخرون، مجلة الأديب العراقي، العدد 25، الاتحاد العام للأدباء والكتاب، العراق، 2020م ص19.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص20.

حَدٍّ للنمو السكاني، ومن أبرز أنصار هذا المذهب " **وارويك فوكس Warwick Fox(1954م)**" »[1].

وأما أنصار اتجاه **البيئة الاجتماعية؛** فقد رأَوْا « أنّ السياسةَ فَرْعٌ من الأخلاق، وتبرز القيمة المحورية للبيئة الاجتماعية بأنها تنتقد كل أشكال الهيمنة التي تُعِيقُ السيرورة التطورية لتحقيق الوجود البشري والكوكبي في آن معًا، ودعا هذا المذهب إلى: 1- ضرورة دراسة خضوع البيئة للفكر الاجتماعي 2- خلق مجتمع جماعي حُرٍّ يَنْسَجِمُ مع العالم الطبيعي 3- التزام سياسةٍ جذريَّةٍ لا مركزيَّةٍ، ومن أشهر مَنَظِّرِي هذا التيار نجد "**موراي بوكتشين Murray Bookchin (1921-2006م)**" »[2].

وأما المذهب الرابع **النسوية البيئية؛** فهو يؤمن بأنَّ « النساء أكثر انسجامًا وتناغمًا مع البيئة والطبيعة من الرجال، ويرفض أن يكون تأنيث الطبيعة قُصُورًا في القوة والعقل بالنسبة للنساء، وقد سعى أنصار هذا المذهب إلى تقديم رؤية متوازنة للحياة إنصافًا للفئات المهمشة والمَقْصِيَّة بفعل الهيمنة الذُكوريَّة، واقترحِ بدائلَ وحُلُولٍ للفوقية والاستعلاء، ومن أشهر رُوّاد هذا التيار " **ماري ولستونكروفت Mary Wollstonecroft (1759-1797م)**" »[3].

هكذا يَتَبَيَّنُ لنا كيف كان للاهتمام بالبيئة دورٌ بارزٌ في لفت انتباه الأدباء ومن بعدهم النُّقَّاد للتأليف في هذا المجال بعَدّ الأدب بنيةً فوقيَّةً تتأثر بالبنية التحتية، وبعَدّه كذلك جزءًا لا يتجزأ من بنية وتركيبة المجتمعات، الأمر الذي أدَّى إلى بروز واشتهار أدباء ونُقّاد ألَّفوا في النقد البيئي مؤلفاتٍ تُعَدُّ النواةَ الأولى لهذا المنهج، ومن أشهر أولئك النُّقَّاد نذكر: **جوزيف ميكر " Joseph Meeker**" و**كتابه كوميديا البقاء على قيد الحياة 1970م، وليام هاوت رويكرت " Rueckert Willam Howe**" ودراسته الموسومة **بالأدب والإيكولوجيا، تجربة في النقد الإيكولوجي سنة 1978م**، والناقدة **شيريل جلوتفيلتي "Glotfelty Cheryll" و كتابها دليل قارىء النقد الإيكولوجي**، والناقد **لورنس بويل "Lowrence Buell" والأديب الأمريكي هنري**

---

[1] ينظر: ناجح المعموري وآخرون، مجلة الأديب العراقي، ص 21.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص22/21.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 22.

دفيد ثورو "Henry David Thoreau" والناقد البيئي **جرج جرارد " Greg Garrard" وكتابه النقد البيئوي.**

ب)تطور اهتمامات النقد البيئي:

لقد مَرَّ النقدُ البيئي بأربعِ موجاتٍ أولاها « ركزتْ على تمثيل الأدب للعالم خارج النص، وخصّصتْ الكثير من طاقتها للبحث عن أشكال التعبير الأدبي التي يُمكن أن تَنْقُلَ رسالةً بيئيةً على أفضل وجه...، كما عُنِيَت أشكالُ الكتابة التي طغتْ على العالم غير البشري والتي قد عَزَّزَتْ الحساسية البيئية، وقد كان تركيز هذه الموجة على الشعر، وقد كان رائدها **جوناثان بيت Jonathan Bate (1958م)** »[1]، أما ثانيها فقد « أطلقتْ مقاربةً أكثر انعكاسًا وفّرت المجال لمعالجة التشابك المعقد للطبيعة، السياسات الاجتماعية، والجنسية، وكذلك نقد الأشكال التي سبق أن خَضَعَتْ للتدقيق من أجلها، وإعادة تأطيرها لتعكس فهمًا أكثر تعقيدًا لهذه التشابكات...، وقد لجأتْ هذه الموجة إلى الرواية، ويُعَدُّ الناقدان الرئيسان فيها **دومينيك هيد Dominic Head ودانا فيليبس Dana Phillips** »[2]، يبدو أن الموجة الثانية كانت أكثر دقةً وأكثر تَوَسُّعًا وانفتاحًا من الموجة الأولى إذْ دَرَسَتْ الروايةَ وأطلقتْ مقاربةَ أكثر انعكاسًا من الأولى.

وأما ثالث الموجات فهي « تُعدُّ تطورًا يَعْتَرِفُ بالخصائص العِرقية والوطنية ويتجاوزها، كذلك يستكشف جميعَ جوانب التجربة الإنسانية من وجهة البيئة، وبشكل عام هي موجةٌ تَصِفُ نموذجَ العالمية البيئية، ومن روّادها **أورسولا هيس Ursula Heise (1960م).**» [3]

وأما رابع الموجات فهي « تتعايش مع الموجة السابقة – الموجة الثالثة – بدلاً من أن تَحُلّ مَحَلَّها، وهي الحقل الناشئ من النقد البيئي المادي، تعالج ثلاث قضايا؛ 1- فرضية أن هناك مادية مشتركة بين العالم البشري وغير البشري تجعل الفروق بين الإنسان والبيئة باليَةً وتتجاوز الطبيعةَ تمامًا، 2- فكرة أنّ كل هذه المسائل المشتركة لها فاعلية، 3- التحديات الأخلاقيّة والسياسية التي بها تعقيد هذه التداخلات المادية وتهجينها، من روّادها **(سكوت**

---

[1] لورنس بويل وآخرون، النقد البيئي بين النظرية والتطبيق، ص 72/70.

[2] يُنظر: المصدر نفسه، ص81.

[3] المصدر نفسه، ص 91/90.

سلوفيتش Slovic Scott)[1]، هذه كانت موجات النقد البيئي في السنوات الماضية وقد أثَّرتْ في هذا النقد وأَسّستْ مبادئَه ومرتكزاته، وطوَّرتْ معارفَهُ ووسَّعَتْ أبعادَه.

ثالثًا: مقولات النقد البيئي:

إنَّ النقدَ البيئيَّ يعتمدُ وعيَ الأديب البيئي ورؤيته تجاه ما يحيط به، وهو يركز على قضايا البيئة من مُنْطَلَقٍ إنسانيّ مَتَجاوزًا الحدودَ بين الكائنات والعناصر الجامدة، غيرَ مُعْتَرِفٍ بحدودٍ جغرافيّةٍ ولا عِرقيَّةٍ وهو « الحوار بين الإنسان وغير الإنسان »[2] أي أنه دراسة العلاقة بين الأديب وبيئته من خلال إنتاجه الأدبي من شِعْرٍ ونَثْرٍ وَمَدى وَعْيِهِ بها وبقضاياها، ومن أجل دراسة هذه العلاقة من منظور النقد البيئي فإنَّ لهذا الأخير مقولاتٍ تُعَدُّ المبادئَ الرئيسةَ لممارسة هذا النقد وتطبيقه على النصوص الإبداعية وهذه المقولات هي: « **النظرة الرومانسية الحالمة للطبيعة الآمنة غير المهددة، والطبيعة والحرية، والنظرة إلى شعرية النص كأنها شعرية معرفية، والأَنْسَنَة البيئية للطبيعة، ومبدأ ثنائية الأنا والآخر، والخيال البيئي، والتوحد مع البيئة، والافتتان بالطبيعة، الوعي البيئي والتركيز على المَعْنَى الروحي وتغليبه على المادي** »[3]، وهذا شرحٌ لهذه المقولات؛

<u>1-النظرة الرومانسية الحالمة للطبيعة الآمنة غير المهددة</u>: أي النظر إلى الطبيعة على أنها مُسالمةٌ آمنةٌ ليس فيها أي شَرٍّ ولا أذًى، وربما كان الشعراءُ الصعاليك من الأوائل الذين تَبَنَّوا هذه النظرة الحالمة وذلك جليٌّ في قول **الشنفرى (ت 525 م)** [من الطويل]:

1) ولي دُونَكُمْ أهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأرْقَـــــــطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ
2) هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائِعٌ ... لدَيْهِمْ ولا الجَانِي بما جَرّ يُخْذَلُ

---

[1] لورنس بويل وآخرون، النقد البيئي بين النظرية والتطبيق، ص 95/93.

[2] محمد أبو الفضل بدران، أهمية النقد البيئي في الدراسات النقدية، ص196.

[3] ينظر: عبيد جودت عبد الحافظ، النقد البيئي ونظرية الأدب، ص73.

2-الطبيعة والحرية: أي إنّ الطبيعة تَمَثّلَ مكان الحرية التي فقدها الإنسان في المدينة بسبب ما له من مسؤوليات وارتباطات، فرأى في الطبيعة مُتَنَفّسًا له، وكثيرًا ما نرى الناس يخرجون إلى الطبيعة في مُتنَزَّه للترفيه عن أنفسهم وللتحرر من ضغوطات الحياة.

3-النظرة إلى شعرية النص كأنها شعرية معرفية: أي يُنظر إلى القصيدة كأنها وثيقة تَحْمِلُ معلوماتٍ بيئيةً تَتَضَمَّنُ تقاريرَ عن الطبيعة وكائناتها ومشكلاتها.

4-الأَنْسَنَة البيئية للطبيعة: أَيْ مَنْحُ الجمادات والحيوانات والأشجار أحاسيسَ ومشاعرَ الإنسان، مثل قصص كليلة ودمنة.

5-مبدأ ثنائية الأنا والآخر: وهي ثنائية موجودة حتمية إذْ الأنا يُمَثِّلُ الإنسانَ، والآخر يُمَثِّلُ البيئةَ بِكُلِّ مكوناتها الحية والصامتة.

6-الخيال البيئي: هو طريقة تطوير البيئة الطبيعية في شَكْلٍ فَنِّيّ في الأدب وغير الأدب.

7-التوحد مع البيئة: ويُقصَدُ به اندماجُ ذاتِ المُبْدِع مع عناصر البيئة والشعور بجمالها وسحرها، وبمرضها ومشكلاتها، فالمبدع والبيئة كالجسد الواحد.

8-الافتتان بالطبيعة: وهي انبهار المبدع بالطبيعة وسحرها، والاسترسال والمبالغة في حُبِّها والغَوص في جمالها الأخّاذ، حتى تُصبح جزءًا مهمًا في حياته، وهذا الافتتان هو ما أصاب شعراء الطبيعة في الأندلس على رأسهم الشاعر ابن خفاجة حتى لُقِّبَ "بِجَنَّانِ الأندلس".

9-الوعي البيئي: هو الشعور بالبيئة وما تحتويه من حيوانات ونبات وجمادات وطريقة التعامل معها من قبل البشر.

10-التركيز على المعنى الروحي وتغليبه على المادي: إنّ الأديب البيئي والناقد البيئي يركزان على المعاني الروحية للبيئة الطبيعية فهما يغوصان إلى الباطن يَبْتَغِيَان الجَوْهَرَ.

إنَّ هذه المبادئَ والمقولات إنما هي محاولة لفهم الوعي البيئي بحالتيه؛ الوعي الظاهر المكتوب في النص والذي يقصده المؤلف، والباطن الذي يسبر أغواره الناقد، كما لا يخفى على الدارس أن لكلِّ علم مصطلحاتٌ خاصة به، فإن للنقد كذلك مصطلحاته النقدية الخاصة به

ولا يُستثنى طبعًا النقدُ البيئي من هذه القاعدة وإنّ من أهم مصطلحات النقد البيئي: " الخيال البيئي، البيئة العميقة، الاستدامة، الحِسّ المكاني والتناص البيئي..." نُفَصِّلُها على النحو الآتي:

1-الخيال البيئي: Environmental imagination: أحد المصطلحات التي جاء بها لورنس بويل، غايته تقديم تَصَوُّرٍ جديد لعلاقة الخيال بالواقع البيئي وقصد به « الكيفية التي تشكل بها البيئة المادية للخيال »[1]؛ أي هو التصوير الأدبي شعرًا أو نثرًا للطبيعة وعلاقة الإنسان بها.

2-البيئة العميقة: Deep environment: وهو مصطلح جاء به الناقد النرويجي " **آرني نيس ARNE NAES (1912-2009م)** " ويُعَبِّرُ هذا المصطلح « عن إبطال مركزية الذات البشرية وإنزالها منزلة متساوية مع بقية عناصر الطبيعة »[2]، وقد يؤثر هذا المصطلح في التصوير الأدبي للواقع والبيئة وعناصرها من خلال أَنْسَنَةِ الكائنات والجمادات الأخرى ومنحها وجودًا مُضاهيًا للوجود البشري داخل النص.

3-الاستدامة: Sustainability: من أبرز المصطلحات في هذا النقد، وهو« يَصِفُ كيفية بقاء النُّظُمِ الحَيَوِيَّةِ مُتنوّعةً ومُنتِجةً مع مرور الوقت، والاستدامة بالنسبة للبشر هي القدرة على حفظ نوعية الحياة التي نعيشها على المدى الطويل، وهذا يعتمد بدوره على حفظ العالم الطبيعي والاستخدام الصحيح للموارد »[3]، وهذا المصطلح يجعل الأعمال الإبداعية من نصوص شعرية ونثرية تترك شعورًا إيجابيًّا في نفس المتلقي تجاه البيئة ممّا يُنَمِّي الشعورَ والوعيَ بالبيئة لديه.

4-**الحس المكاني: Spatial sense**: ويقصد به « الربط والاستجابة وردة الفعل تجاه مكان ما »[4]؛ فالمكان في النقد البيئي له أهمية كبيرة إذْ يحتاج الناقد والمحلل إلى النظر فيه بِعَدِّهِ سياقًا طبيعيًّا ومحيطًا للتفاعلات البيئية، وليس مجردَ خلفيةٍ للأحداث.

---

(1) هاني علي سعيد، النقد الأدبي البيئي قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية وممارسة على قصة رأيت النخل، رضوى عاشور مجلة 26 يناير 2022، (د- ب) ص463.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص463.

(3) دانا فيليبس وآخرون، النقد البيئي " مقدمات، مقاربات، تطبيقات" تر: نجاح الجلبي، دار شهريار، العراق، (ط-1)، 2020 م، ص323.

(4) المصدر نفسه، ص 324.

5-التناص البيئي: Environmental intertextuality: ونعني بهذا المصطلح « نقل مفهوم التناص إلى مستوى البيئة »[1]؛ أي أنَّ المبدعَ يلجأ إلى اقتباس نصوص بيئية ويُضَمّنها في أدبه بحيث يصبح مُمْتَزجًا بين نَصَّيْنِ بيئي وغير بيئي.

6-مركزية البيئة: Ecocentrism: يشير هذا المصطلح إلى « مجموعة العلاقات التي تربط الكائنات الحية بالكائنات غير الحية، وتشمل وجهات النظر المختلفة حول الأخلاقيات البيئية والسلوكيات المتعلقة بأهمية الغلاف البيئي »[2]، دلالة هذا المصطلح تشير إلى ضرورة تقديم الحفاظ على الغلاف البيئي على مصلحة الأنواع الأخرى الفردية التي ترى نفسها تمتلك السلطة والقدرة للسيطرة على الطبيعة وإشباع رغباتها المادية منها.

7-الوعي البيئي: Environmoental Awaraness: إنَّ الوعي البيئي هو مصطلح يَعني الشعور بالمسؤولية تجاه البيئة ومكوناتها المادية والحيوية « ولا يقصد به هنا مظاهر البيئة المادية فقط، بل كل الوجود البشري أيضًا، وما يُمَثِّلُهُ ويقتات عليه في تحققه وممارسة لهذا التحقق »[3]، فالوعي البيئي هو الشعور بالبيئة وما تحتويه من حيوانات ونباتات وجمادات وطريقة التعامل معها من قِبَلِ البشر.

8-الشعر البيئي:Ecopoetry: إنّ الشِّعْرَ البيئيَّ يُعَرَّفُ على أنه « الشعر الذي يجسد المركزية، والتذوق البسيط للبرية والشكوك نحو المنطقية الهجينة واعتمادها المفرط على الناتج التكنولوجيا »[4]؛ أي أنَّ الشعرَ البيئي يَجْعَلُ من البيئة مركزَ موضوعه بتذوق جماليات مكوناتها الحيوية والمادية، ويَطْرَحُ رُؤًى حول خطر الاستغلال المفرط للتكنولوجيا وضرره على البيئة.

---

(1) هاني علي سعيد، النقد الأدبي البيئي قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية وممارسة على قصة رأيت النخل، ص463، نقلاً عن عبد الحميد أحمد الحسامي " الضباب أتى ... الضباب رحل، قراءة من منظور بيئي، مجلة علامات في النقد الأدبي، مجلة الحكمة، النادي الأدبي الثقافي، جدة، مج 17، (ج68)، فبراير 2009م/ صفر 1430 هـ.

(2) بنين سمير عيسى، النقد الأدبي البيئي، مقدمة في النظرية والإجراء، مجلة، العدد 57، ماي 2024، العراق، ص59.

(3) فاطمة الزهراء محمد فوزي، النقد الأدبي البيئي " قراءة جديدة في الشعر القديم، دار الأدهم للنشر والتوزيع، مصر، (ج1)، (ط-1)، 2019.ص31/30.

(4) دانا فيليبس وآخرون، " النقد البيئي، مقدمات، تطبيقات"، ص325.

9-المركزية الإيكولوجية: Ecocentrism: وهي عبارة عن « " **رؤية الأخلاق البيئية** " تشير إلى أنَّ اهتمامَ المجال البيئي يجب أنْ يتحكم باهتمام الأنواع الفردية »[1]؛ فهو بذلك يجعل من البيئةَ مَرْكَزًا له وأولويةً، وهو يشير إلى التعالق العضوي والجماد وهو مقابل لمصطلح المركزية البشرية.

10-المركزية البشرية: Anthropocentrism: يُمكن تعريف المركزية البشرية على أنها « منظومة المعتقدات والممارسات التي تفضل البشر على الكائنات الحية الأخرى »[2]، دلالة هذا المصطلح تشير إلى مركزية الإنسان في الكون وتفضيله على بقية الكائنات الحية الأخرى وهو مقابل لمصطلح المركزية الايكولوجية.

11-الإبادة البيئية Ecocide: إنه يُمَثِّلُ « نشاطًا إنسانيًّا مُجْرِمًا، يَنْتَهِكُ مبادئَ العدالة البيئية، مثل التسبب في ضرر واسع النطاق أو تدمير النُّظُمِ البيئية أو إلحاق الضرر بصحة وسلامة الأنواع »[3].

إن النقد البيئي يَنْصَبُّ « على موضوع البيئة في الخطابات الأدبية والفنية ولا سيّما الرومانسية منها، باستكشاف أنواع البيئة، واستجلاء مختلف مشاهدها، والتركيز على التخييل البيئي، والإشارة إلى القيم الأخلاقية والدينية المتعلقة بالبيئة وتِبْيَان اهتمام الإنسان بالبيئة »[4]، إذًا فالناقد البيئي يَدْرُسُ البيئةَ ومظاهرَها في الخطاب الأدبي، ويستكشف تنوعَ البيئات فيه، وهو كذلك يُركز على الخيال البيئي وما يتعلق به من حِسٍّ مكاني وتناصّ بيئي، ويشير إلى القِيَمِ الأخلاقية والأفكار والفلسفة تجاه البيئة، وعلى الناقد أنْ يَسْتَعِينَ بمقولات النقد البيئي في تحليله وتأويل المضمر البيئي، ولا بدَّ للناقد في عملية نقده البيئي من الإجابة عن تساؤلات عِدَّةٍ وهي « ما إمكانية التداخل الخِصْبِ بين الدراسات الأدبية والتداخل البيئي؟ كيف تم تصوير الطبيعة ومظاهرها في هذه القصيدة؟ وما أثر المكان في حبكة الرواية؟ وتفاعل

---

(1) دانا فيليبس وآخرون، " النقد البيئي، مقدمات، تطبيقات"، ص326.

(2) المصدر نفسه، ص326.

(3) المصدر نفسه، ص326.

(4) ينظر: فريد عوف، النقد البيئي: الرؤية والتطبيق دراسة لنماذج شعرية المدينة والريف للشاعر الجزائري عبد الملك بو منجل، الجزائر 2023، ص 471/ 472.

الشخصيات فيها؟ وهل القيم التي تحملها المسرحية تتفق مع الحكمة البيئية؟ هل عالجت قصيدة الشاعر أو قصة الكاتب أو لوحة الرسام مشكلة بيئية؟ »[1].

وعليه فإن هذا النقد لا يكتفي بالتحليل السطحي المرتبط بالوصف وتَعداد مظاهر الطبيعة والوقوف على جمالياتها، إنما « يَمْتَدُّ ويَتَّسِعُ لِيَشْمُلَ في تحليله الجوانب الثقافية والأدبية المتمثلة في رؤية الأديب للبيئة، وما يحمله من أثر يُسهم في خَلْقِ الوعي البيئي والكشف عن الأنساق المتخفية والمضمرة خلف ستار الصفات الجميلة »[2]، ولا بَّد في التحليل البيئي من استخدام المصطلحات الإجرائية البيئية، وقد بين الدكتور" **عبد الحميد الحسامي (1971م)** " منهجًا فيه رصانة علمية يمكن اعتماده في التحليل فهو قسم الدراسة إلى قسمين؛ « **بنية سطحية رؤيوية:** وهي رؤية الكاتب للبيئة، والمعجم اللغوي والوصف الشخصيات والمكان، و**بنية ثانية عميقة**»[3]، ولا بدَّ كما ذكرنا آنفًا من استدعاء مقولات النقد البيئي في الدراسة التطبيقية سواء أكانت البنية سطحيةً أم عميقةً.

رابعًا: ملامح النقد البيئي في النقد العربي القديم:

لقد أثَّرتْ البيئة في الإنسان العربي تأثيرًا شديدًا ما جعل العلاقة بينه وبينها علاقة قوية وطيدة حتى اتخذَ منها ومن عناصرها أسماءً سَمَّى بها، وأمضى أزمانًا عديدة في وصفها والانبهار بها وبكائناتها وتجلى ذلك في أشعاره وأراجيزه التي تَحتفي بالبيئة وتُبْدِعُ في وصفها وحيواناتها ونباتاتها، وكان الشعر العربي القديم زاخرًا بوصف الطبيعة والوقوف عليها وعلى جماليتها، بل إنه جعل منها الركن الرئيس في بنائه للشعر وجعله في مطالعه.

---

[1] ينظر: فريد عوف، النقد البيئي: الرؤية والتطبيق دراسة لنماذج شعرية المدينة والريف للشاعر الجزائري عبد الملك بو منجل، ص 471.

[2] بنين سمير عيسى، النقد الأدبي البيئي مقدمة في النظرية والإجراء، ص 60.

[3] ينظر: المرجع السابق، ص472.

هذا **الجَاحِظُ (ت 255هـ)** يحدد قيمة الشاعر وإبداعه عبر أربعة مقومات: « إنما ذلك عن قدر ما قسم الله لهم من الحُضُوض والغرائز والبلاد والأعراق »[1] فالجاحظ بقوله هذا أشار إلى دور البيئة في الإبداع و الشعر، ونال بإشارته هذه الأسبقية، في ربط البيئة بالإبداع وقد رَكَّزَ **ابْنُ سَلَّام الجُمَحِي (231هـ)** على أثر البيئة في الإبداع وأظهر دورها وتأثيرها في لغة الشعر، وذلك حين وصف شعر عَدِيّ بن زَيْدٍ بأنه لَيِّنٌ وفيه رقة، وهذا نتيجة البيئة والمكان الذي كان يعيش فيه، إن ابنَ سَلَّام كان يَعِي جيّدًا تأثير البيئة في الشعر و« ممارسًا لما يسمى النقد البيئي منذ أكثر من أَلْفٍ ومِئَتَيْ عام قَبْلَ أنْ يقول **سَانت بِيف Sainte Beuve (1869/1804م)** بالعلاقة بين المبدع وبيئته في المنهج الحداثي »[2].

إنّ كُلًّا مِن ابن سَلَّام والجاحظ لهما مواقف وآراء متقاربة تصل إلى حَدِّ التوافق في رد الإبداع إلى البيئة وارتباطه بها.

كما قدَّمَ **قُدَامَة بَنُ جَعْفَرٍ (ت 337هـ)** الأساس الأخلاقي للشاعر وقد اتخذه من البيئة الاجتماعية « هو ضرب من النقد مُتَّصِلٌ بِكَوْنِ الأدب تعبيرًا عن الإنسان والطبيعة في أبسط صورها، أي البيئةَ بمُكوِّنَيْهَا الحيّ والصامت، الفاعل والمفعول، ويَمْنَحُ الشاعرَ حريةَ هذا الانتقاء من البيئة أساسَه الأخلاقي إيجابًا وسلبًا »[3]؛ فقد اهتم بالبيئة الأخلاقية وهي البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المبدع ومدى انعكاس هذا الأساس الأخلاقي في النتاج الإبداعي أيجابًا وسلبًا.

وهذا **ابن طَبَاطَبَا (ت 322هـ)** الذي يُعَدُّ من النقاد القدامى الأوائل الذين وضعوا أيديهم على أُسُسِ هذا المنهج فقد « أَفْرَدَ كثيرًا من النماذج التي يوثق بها رؤيته النقدية للبيئة بمكونها الحيَّ الإنسان وممارسته الثقافية والاجتماعية والأخلاقية وأثرها في النص »[4] إنَّ رأيَ ابنِ طبَاطبَا لم يبتعد كثيرًا عن رأي قُدامة في أثر البيئة في النص.

---

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فرازة الليثي الكناني البصري المعروف بالجاحظ، الحيوان تح: عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي، القاهرة، (ط-2)، 1965م، (ج4)، ص381.

(2) يُنظر: فاطمة الزهراء فوزي، النقد الأدبي البيئي، ص34.

(3) يُنظر: المصدر نفسه، ص34.

(4) يُنظر: المصدر نفسه، ص35.

وهذا **حازمٌ القَرْطَاجَنِّي (ت 684هـ)** تَحَدَّثَ عن ما تُهَيِّئُهُ البيئةُ للأديب والشاعر من ظروف للإبداع وجعلها معيارًا في نقده وفي مفاضلته بين الشعراء فقد قال: « لمفاضلة بين جماهير شعراء توفرت لهم الأسباب المُهَيِّئَةُ لقول الشعر والأسباب الباعثة على ذلك وبين جماهير شعراء لم تتوفر لهم، فلا يجب أنْ نتوقف فيها، بل نَحْكُمُ حُكمًا جازمًا أنَّ الذين توفَّرتْ لهم الأسباب أَشْعَرُ من الذين لم تتوفر لهم، وذلك كما تَفَضَّلَ شعراء العراق على شعراء مصر ... »[1]، جعل حازمٌ البيئةَ معيارًا في نقده للشعر وجودَتِهِ، وهو مَلْمَحٌ لِنَصٍّ نَقْدِيّ بيئي يَدُلُّ على مدى أسبقيَّتِهِ إلى هذا المنهج في بداياته.

وقد راح **ابْنُ رَشِيقٍ القَيْرَوَانِيّ (ت 456هـ)** يُفَسِّرُ شيوعَ أغراضٍ وأساليبَ مُحَدَّدَةٍ عند شعراء وأغراضٍ أخرى عند شعراء آخرين، ليكون تفسيره مكانيًّا بالدرجة الأولى؛ فقد رأى أنَّ « أهل الحاضرة يأتي أكثر تغزلهم في ذكر الصدود، والهجران، والوشين، والرقباء »[2] كما أرجع كثرة بَدْء القدامى بالديار وفق رؤية بيئية، إلى ما تعوده حضور قويّ للخيام والديار والأطلال، وقد « كانوا قديمًا أصحابَ خيامٍ، ينتقلون من موضع إلى آخر فإن أول ما تبدأ به أشعارهم بذكر الديار»[3]، إنَّ تحليلَ ابنِ رشيقٍ لشيوع أغراض شعر في مكان وشيوع أخرى في مكان آخر قد رده إلى أثر البيئة، وهو يُشْبِهُ ما ذهب إليه حازم القرطاجني فكلاهما اعتمد البيئةَ في تفسير وتفضيل شعر بيئة عن شعر بيئة أخرى.

وها هو **أَبُو هِلَالٍ العَسْكَرِي (ت 395هـ)** في « نقده أبيات قالها ابن يامين الشاعر إذ قال:

[من البحر الخفيف]

1)سَيْفُ عَمْرٍو وكان فيما سَمِعْنا ... خيرُ ما أُغْمِدتْ عليه الجُفونُ

2) أُوقدَتْ فَوْقَه الصَّوَاعقُ نارًا ... ثُمَّ شابتْ به الزُّعافُ القُيونُ

3) فإذا ما هَزَزْتَهُ بَهَرَ الشَّمْـ ... ـسَ ضِياءً فَلَمْ تَكَدْ تَسْتَبِينُ

4) يستطيرُ الأبصارَ كالقبسِ المِشْـ ... ـعَلِ ما تَسْتَقِرُّ فيه العُيونُ

---

[1] ينظر: فاطمة الزهراء فوزي، النقد الأدبي البيئي، ص36، نقلاً عن منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، تقديم وتح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط-3)، 1986م، ص 379.

[2] أبو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، لبنان، (ط-5)، (ج1)، 1981م/1401هـ، ص 225.

[3] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص226.

فأخذ عليه من الأبيات تشبيهَهَ السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه حَطَّهُ درجات »[1]، إنَّ نقد أبي هلال العسكري مُنْبَثِقٌ من سياقات البيئة الطبيعية، حيث وازن بين ضوء الشمس وضوء النار في السطوع والخفوت، إذ استخدم عناصر الطبيعة معيارًا في الحكم على الأبيات، وهكذا نرى أثر البيئة في الإبداع والنقد على حد سواء.

خلاصة الفصل النظري

إنّ الأدب رسالة إنسانية قادرة على إثارة المشاعر، والتنبيه إلى ما تعانيه الطبيعة وخَلْقِ وعي بيئي، وإن التلازمَ الحاصلَ بين الأدب والنقد مُحركٌ لظهور النقد البيئي، يُكوّنُ المسؤوليةَ الاجتماعيةَ اتجاه البيئة والاهتمام بمشكلاتها والأخطار المُحدقة بها، ويُنَبِّه النُّقَّاد والأدباء إلى حجم تلك المخاطر هو السبب في ظهور دراسات تهتم بالبيئة ومختصة في الإنتاج الأدبي.

إنّ النقدَ البيئيَّ أو الإيكولوجيَّ حَقْلٌ جديدٌ في الساحة النقدية، وكان ويليام روبيرت أول ناقد قام بتوطين مصطلح " النقد البيئي" سنة 1978م، وقد مَثَّلَتْ التسعينات من القرن العشرين ذروة انتشار النقد البيئي في أوروبا وأمريكا، وكان لورنس بويل وشيريل جلوتفيلتي، ودانا فيليبس، وجورج جرارد من أشهر النُّقَّاد البيئيين، ويكشف هذا النقد علاقة الربط النصية والخطابية وعلاقة التأثير والتأثر بين الأدب والطبيعة والأرض والمكان والبيئة، كما يَتَّسِمُ بدور مُهِمٍّ في إحداث وعي بيئي، وتَعَهُّدٍ أخلاقيّ وجَماليّ اتجاه المشكلات البيئة، ولا يَقِفُ النقدُ البيئيُّ على نصوص أدبية جديدة فحسب، بل يبحث في التراث الأدبي ويستكشف الوعي البيئي فيه، وتُمَثِّلُ مقولاتُ النقد البيئي المفتاحَ الذي يَلِجُ به الناقدُ البيئيُّ في عوالمِ النَّصّ وتأويل مضمراته البيئية، ولا يكون النَّصُّ قابلًا للدراسة البيئية إلا إذا توفر على معيارين أو ثلاثة من المعايير لورنس بويل الأربعة.

---

[1] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ديوان المعاني، شرح وضبط: أحمد حسن يسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط-1)، 1414هـ/1994 م، (ج1)، ص402/401.

الفصل الأخير – التطبيقي: تجليات الوعي البيئي في شعر ابن خفاجة الأندلسي:

أولاً: تمرير شعر ابن خفاجة على معايير لورنس بويل

ثانيًا: وصف الطبيعة الصامتة والحية وتجليات الوعي البيئي فيها

أ) البيئة الصامتة

قصيدة الجبل وأرض الأندلس

ب) الـــــبيئة الحية

قصيدة الشجرة والذئب

ثالثًا: الرؤى الجمالية والفلسفية في شعر ابن خفاجة

بَعْدَ التَّطَرُّقِ للجانب النظري للنقد البيئي، والتعرف على جانبه النظري ومفاهيمه الإجرائية وإرساء قاعدة في الجانب النظري مُيَسَّرٍ للدارسين، الآن في هذا الفصل التطبيقي سنحاول تطبيق آليات هذا النقد على شعر قديم من أشعار العرب تحديدًا شعر الطبيعة الأندلسي لابن خفاجة، بُغْيَةَ اكتشاف مدى توافق شعره مع المعايير النقدية البيئية للأدب من جهة، والكشف عن تجليات الوعي البيئي فيه من جهة ثانية، ورصد الرؤى الجمالية والفلسفية المضمرة فيه من جهة أخيرة، ولا بدَّ من تقديم الآليات الإجرائية النقدية لهذا النقد، والتذكير بالمنهج المُتَّبِعِ المُطَبَّقِ طوال الممارسة النقدية على شعر المُدونة المختارة التي تم فيها اختيار أربع قصائد ذات قيمة بيئية كبيرة، أمّا منهجية النقد البيئي في تحليل النصوص وخطواته الإجرائية تُقدّم للدارسين كي يُدْرِكوا مسارَ الدراسة وغايتَها، كالخريطة يَعْلَمُون بها من أين تبدأ الدراسة وكيف تنتهي، والمنهجية النقدية التبعة وآلياتها معروضة في ما يلي:

أ) تمرير النص على معايير بويل: يجب على النص الشعري أو السردي أن يتوفر على معيارين أو ثلاثة من أصل أربعة على الأقل وتلك المعايير هي:

1-« البِيئَةُ غَيْرُ البَشَرِيَّةِ مَوْجُودَةٌ لَيْسَتْ فَقَطْ كَأَدَاةٍ، وَلَكِنْ كَحُضُورٍ يَبْدَأُ فِي الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ التَّارِيخَ البَشَرِيَّ مُتَوَرِّطٌ فِي التَّارِيخِ الطَّبِيعِي »:

أي أنّ البيئة غير البشرية موجودة وهي الركن الأساس الذي يُعتمد بناء النص، ويشير إلى أن التاريخ البشري متعلق بالتاريخ الطبيعي، والبيئة غير البشرية تصف الحيوانات وتُصَنِّفُها حَسَبَ البيئة المكانية التي تعيش فيها.

2-« أَنْ لَا يُفْهَمَ أَنَّ المَصْلَحَةَ الإِنْسَانِيَّةَ هِيَ المَصْلَحَةُ المَشْرُوعَةُ الوَحِيدَةُ »:

بمعنى أن يعالج النص الأدبي مشاكل تخص الحيوانات والبيئة، وعدم جعل المركزية لمصلحة الإنسان على حساب مصلحة الطبيعة والحيوانات.

3-« المُسَاءَلَةُ البَشَرِيَّةُ تُجَاه البِيئَةِ جُزْءٌ مِنَ التَّوَجُّهِ الأَخْلَاقِيّ »:

أي تتوفر النصوص الأدبية على توجهات أخلاقية، والشعور بالمسؤولية في الحفاظ على البيئة وكائناتها، ويكون ذلك من خلال عرض مشاكل البيئة وأسبابها وطرح حلول لها أو النهي عن التصرفات التي تؤذي البيئة.

4-« بَعْضُ الشُّعُورِ بِالبِيئَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ نَهْجًا بَدَلًا مِنْ كَوْنِهِ ثَابِتًا أَوْ مُعْطًى فِي النَّصِّ بِشَكْلٍ ضِمْنِيّ عَلَى الأَقَلِّ »:

أيْ أنَّ النصوصَ الأدبيّةَ لكي تكون ضِمْنَ الأدب البيئي يجب أن تقول وتؤكد أنَّ البيئةَ تتغيرُ، والتغير الذي يَحْدُثُ لها قد يَكُونُ ذا أثارٍ ونتائجَ سلبيَّةٍ وخيمةٍ على كل الموجودات.

ب) البنية البيئية السطحية للنص:

1) في السرد:

– الإجابة عن تساؤلات معدودات وهي كيف تم تصوير الطبيعة ومظاهرها في هذه الرواية أو القصة؟ وما أثر المكان في حبكة الرواية؟ وتفاعل الشخصيات فيها؟ وهل القيم التي تحملها المسرحية تتفق مع الحكمة البيئية؟ هل عالجت الرواية أو قصة الكاتب مشكلة بيئية؟

– دراسة المعجم اللغوي البيئي في النص.

– دراسة الشخصيات ونظرتها تجاه البيئة.

– دراسة الأمكنة (تنوع البيئات في النص وعلاقتها في الشخصيات).

2) في الشعر:

– الإجابة عن تساؤلات معدودات وهي كيف تم تصوير الطبيعة ومظاهرها في هذه القصيدة؟ وما أثر المكان في بناء القصيدة؟ وتفاعل الشاعر معها؟ وهل القيم التي تحملها القصيدة تتفق مع الحكمة البيئية؟ هل عالجت القصيدة مشكلة بيئية؟

– دراسة المعجم اللغوي البيئي في النص.

– دراسة ارتباط نفس الشاعر بالبيئة ونظرتها لها.

– دراسة الأمكنة وتحديد نوع البيئة الموجودة في القصيدة؛ (**"بيئة حية"**: وصف إنسان، حيوان، نبات، أو **"بيئة صامتة"**: وصف جماد: أرض، صحراء، جبال، سهول، سماء، بحر، ديار...–)، مع إبراز قيمة تلك البيئات في النص ومكانتها في نفس الشاعر.

ج) البنية العميقة (رؤية الكاتب للبيئة):

– دراسة تمظهرات مقولات النقد البيئي في النص السردي أو الشعري وإبرازها بالتمثيل لها من النص وهذه المقولات هي: « **النظرة الرومانسية الحالمة للطبيعة الآمنة غير المهددة، والطبيعة والحرية، والنظرة إلى شعرية النص كأنها شعرية معرفية، والأَنْسَنَة البيئية للطبيعة،**

ومبدأ ثنائية الأنا والآخر، والخيال البيئي، والتوحد مع البيئة، والافتتان بالطبيعة، الوعي البيئي والتركيز على المَعْنَى الروحي وتغليبه على المادي ».

– استنباط القِيَمِ البيئية من النص باستخدام مصطلحات النقد البيئي الإجرائية: (الخيال البيئي، البيئة العميقة، الاستدامة، الحس المكاني، التناصّ البيئي...).

– دراسة القِيَمِ:(الجمالية، الفكرية، الفلسفية، الدينية...) المضمرة في النص.

وأمّا القصائد الأربعة المختارة هي (قصيدة الجبل، قصيدة أرض الأندلس، قصيدة شجرة الأراك وقصيدة الذئب المُتنكر في الظلام) ونصها فيما يلي:

1) قصيدة الجبل[1]: [من البحر الطويل]

1) بَعَيشِكَ هَل تَدري أَهوجُ الجَنائِبِ ... تَخُبُّ بِرَحلي أَم ظُهورُ النَجائِبِ
2) فَما لُحتُ في أولى المَشارِقِ كَوكَباً ... فَأَشرَقتُ حَتّى جِئتُ أُخرى المَغارِبِ
3) وَحيداً تَهاداني الفَيافي فَأَجْتَلِي ... وَجوهَ المَنايا في قِناعِ الغَياهِبِ
4) وَلَا جارَ إِلّا مِن حُسامٍ مُصَمَّمٍ ... وَلا دارَ إِلّا في قُتودِ الرَكائِبِ
5) وَلا أُنسَ إِلّا أَن أُضاحِكَ ساعَةً ... ثُغورَ الأَماني في وُجوهِ المَطالِبِ
6) وَلَيلٍ إِذا ماقُلتُ قَد بادَ فَانقَضى ... تَكَشَّفَ عَن وَعدٍ مِنَ الظَنِّ كاذِبِ
7) سَحَبتُ الدَياجي فيهِ سودَ ذَوائِبٍ ... لِأَعتَنِقَ الآمالَ بِيضَ تَرائِبِ
8) فَمَزَّقتُ جَيبَ اللَيلِ عَن شَخصِ أَطلَسٍ ... تَطَلَّعَ وَضّاحَ المَضاحِكِ قاطِبِ
9) رَأَيتُ بِهِ قِطعاً مِنَ الفَجرِ أَغبَشاً ... تَأَمَّلَ عَن نَجمٍ تَوَقَّدَ ثاقِبِ
10) وَأَرعَنَ طَمّاحِ الذُؤابَةِ باذِخٍ ... يُطاوِلُ أَعنانَ السَماءِ بِغارِبِ
11)يَسُدُّ مَهَبَّ الريحِ عَن كُلِّ وُجهَةٍ ... وَيَزحَمُ لَيلاً شُهبَهُ بِالمَناكِبِ
12) وَقورٍ عَلى ظَهرِ الفَلاةِ كَأَنَّهُ ... طِوالَ اللَيالي مُفكِّرٌ في العَواقِبِ
13) يَلوثُ عَلَيهِ الغَيمُ سودَ عَمائِمٍ ... لَها مِن وَميضِ البَرقِ حُمرُ ذَوائِبِ
14) أَصَختُ إِلَيهِ وَهوَ أَخرَسُ صامِتٌ ... فَحَدَّثَني لَيلُ السُرى بِالعَجائِبِ
15) وَقالَ أَلا كَم كُنتُ مَلجَأَ قاتِلٍ ... وَمَوطِنَ أَوّاهٍ تَبَتَّلَ تائِبِ

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح عبد الله بن خفاجة الأندلسي، ديوان ابن خفاجة، تح: مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية– مصر–، 1960م، ص 217/215.

16) وَكَم مَرَّ بي مِن مُدلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ... وَقالَ بِظِلّي مِن مَطِيٍّ وَراكِبِ
17) وَلاطَمَ مِن نُكبِ الرِياحِ مَعاطِفي ... وَزاحَمَ مِن خُضرِ البِحارِ غَوارِبي
18) فَما كانَ إِلّا أَن طَوَتهُم يَدُ الرَدى ... وَطارَت بِهِم ريحُ النَوى وَالنَوائِبِ
19) فَما خَفقُ أَيكي غَيرَ رَجفَةِ أَضلُعٍ ... وَلا نَوحُ وُرقي غَيرَ صَرخَةِ نادِبِ
20) وَما غَيَّضَ السُلوانَ دَمعي وَإِنَّما ... نَزَفتُ دُموعي في فِراقِ الصَواحِبِ
21) فَحَتّى مَتى أَبقى وَيَظعَنُ صاحِبٌ ... أُوَدِّعُ مِنهُ راحِـــــلاً غَيرَ آيِبِ
22) وَحَتّى مَتى أَرعى الكَواكِبَ ساهِراً ... فَمِن طالِعٍ أُخرى اللَيالي وَغارِبِ
23) فَرُحماكَ يا مَولايَ دِعوَةَ ضارِعٍ ... يَمُدُّ إِلى نُعماكَ راحَةَ راغِبِ
24) فَأَسمَعَني مِن وَعظِهِ كُلَّ عِبرَةٍ ... يُتَرجِمُها عَنهُ لِسانُ التَجارِبِ
25) فَسَلّى بِما أَبكى وَسَرّى بِما شَجا ... وَكانَ عَلى عَهدِ السُرى خَيرَ صاحِبِ
26) وَقُلتُ وَقَد نَكَّبتُ عَنهُ لِطِيَّةٍ ... سَلامٌ فَإِنّا مِن مُقيمٍ وَذاهِبِ

2) قصيدة أرض الأندلس[1]: (الأبيات من 1 إلى 3 [من البحر الكامل] والأبيات من 4 إلى 7 [من البحر البسيط])

1)يَأَهـــــــلَ أَندَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ... مـــــــاءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجارُ
2) ما جَنَّةُ الخُلدِ إِلّا في دِيارِكُمُ ... وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ
3) لا تَختَشوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَقراً ... فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ
4) عاثتْ بساحتِك العِدَا يا دارُ ... ومَحَا مَحاسنَكِ البِلَى والنارُ
5) وإذا تردّد في جَنابِك ناظرٌ ... طال اعـــــتبارٌ فيك واستِعبارُ
6) أرضٌ تقاذفَتِ الخُطوبُ بأهلِها ... وتمخَّضَـــــــــــتْ بخرابِها الأقدارُ
7) كتبتْ يدُ الحِدْثانِ في عَرَصاتِها: ... "لا أنتِ أنتِ، ولا الدّيارُ ديارُ

3) قصيدة شجرة الأراكة[2]:[من البحر الكامل]

1) وَأَراكَةٍ ضَرَبَت سَماءً فَوقَنا ... تَندى وَأَفلاكُ الكُؤوسِ تُدارُ
2) حَفَّت بِدَوحَتِها مَجَرَّةُ جَدوَلٍ ... نَثَرَت عَلَيهِ نُجومَها الأَزهارُ
3) وَكَأَنَّها وَكَأَنَّ جَدوَلَ مائِها ... حَسناءُ شُدَّ بِخَصرِها زِنّارُ
4) زَفَّ الزُجاجُ بِها عَروسَ مُدامَةٍ ... تُجلى وَنُوّارُ الغُصونِ نِثارُ
5) في رَوضَةٍ جِنحُ الدُجى ظِلٌّ بِها ... وَتَجَسَّمَت نَوراً بِها الأَنوارُ

---

[1] ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، ص 364/354.

[2] ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، ص351.

6) غَنّاءَ يَنشُرُ وَشيَهُ البَزّازُ لي ... فيها وَيَفتُقُ مِسكَهُ العَطّارُ

7) قامَ الغِناءُ بِها وَقَد نَضَحَ النَدى ... وَجهَ الثَرى وَاِستَيقَظَ النُوّارُ

8) وَالماءُ مِن حَلي الحَياءِ مُقَلَّدٌ ... زَرَّت عَلَيهِ جُيوبَها الأَشجارُ

4) قصيدة الذئب المُتنكّر في الظلام[1]:[من البحر الكامل]

1) وَمَفازَةٍ لا نَجمُ في ظَلمائِها ... يَسري وَلا فَلَكٌ بِها دَوّارُ

2) تَتَلَهَّبُ الشِعرى بِها وَكَأَنَّها ... في كَفِّ زِنجِيِّ الدُجى دينارُ

3) تَرمي بِهِ الغيطانُ فيها وَالرُبى ... دُوَلاً كَما يَتَمَوَّجُ التَيّارُ

4) قَد لَفَّني فيها الظَلامُ وَطافَ بي ... ذِئبٌ يُلِمُّ مَعَ الدُجى زُوّارُ

5) طَرّاقُ ساداتِ الدِيارِ مُساوِرٌ ... خَتّالُ أَبناءِ السُرى غَدّارُ

6) يَسري وَقَد نَضَحَ النَدى وَجهَ الصَبا ... في فَروَةٍ قَد مَسَّها اِقشِعرارُ

7) فَعَشَوتُ في ظَلماءَ لَم تُقدَح بِها ... إِلّا لِمُقلَتِهِ وَبَأســـــــــــي نارُ

8) وَرَفَلتُ في خُلَعٍ عَلَيَّ مِن الدُجى ... عُقِدَت لَها مِن أَنجُمٍ أَزرارُ

9) وَاللَيلُ يَقصُرُ خَطوَهُ وَلَرُبَّما ... طالَت لَيالي الرَكبِ وَهيَ قِصارُ

10) قَد شابَ مِن طَرَفِ المَجَرَّةِ مَفرِقٌ ... فيها وَمِن خَطِّ الهِلالِ عِذارُ

---

[1] المصدر نفسه، ص 85.

أوّلاً: تمرير شعر ابن خفاجة على معايير لورنس بويل:

إنَّ تمريرَ القصائد المختارة من شعر ابن خفاجة على معايير بويل يُعَدُّ العتبةَ الأولى في النقد البيئي، وكلما وافقت القصيدة المعايير ولو القليل منها فهي تُعَدُّ من الشعر البيئي من جهة، وصالحة للنقد البيئي من جهة أخرى، وقد تمّ اختيار ثلاث قصائد ومقطعَيْن تم دمجهما في قصيدة واحدة لتصبح القصائد المختارة أربعًا، وفيما يلي تمرير هذه القصائد على المعايير وقياس مدى صلاحية كل منها للنقد البيئي:

أ) قصيدة الجبل:

إنّ قصيدةَ الجبل من أشهر قصائد وصف الطبيعة في الشعر العربي عامة، وفي الأندلسي خاصة، وقد وافقت هذه القصيدةُ معيارَيْنِ؛ المعيار الأوّل الذي يرى أنّ "البِيئَةَ غَيْرَ البَشَرِيَّةِ مَوْجُودَةٌ لَيْسَتْ فَقَطْ كَأَدَاةٍ، وَلَكِنْ كَحُضُورٍ يَبْدَأُ فِي الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ التَّارِيخَ البَشَرِيَّ مُتَوَرِّطٌ فِي التَّارِيخِ الطَّبِيعِي"؛ أي أنَّ التاريخَ البشريَ له علاقة بالتاريخ الطبيعي في علاقة تأثير وتأثر، وأنَّ النّصَّ يعتمد في بنائه العُنصرَ الطبيعي، وتلك العلاقة العميقة بين الإنسان – الشاعر– وبيئته، وها هو ابن خفاجة يتحدث عن تلك العلاقة في قصيدة الجبيل فيقول: [من البحر الطويل]

14)أَصَختُ إِلَيهِ وَهوَ أَخرَسُ صامِتٌ ... فَحَدَّثَني لَيلُ السُرى بِالعَجائِبِ
15) وَقالَ أَلا كَم كُنتُ مَلجَأَ قاتِلٍ ... وَمَـــــــــوطِنَ أَوّاهٍ تَبَتَّلَ تائِبِ
16) وَكَم مَرَّ بي مِن مُدلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ... وَقالَ بِظِلّي مِـــــن مَطِيٍّ وَراكِبِ

لقد حملت هذه الأبياتُ مظاهرَ المعيار الأول التي تَكْمُنُ في العلاقة العميقة بين الإنسان والطبيعة، فها هو الجبل يؤثر في الإنسان بمُختلف شرائحه، ويجعلهم جميعًا يَلْجؤون إليه (القاتل، الأوّاه المُتبتّل، المُدلج، المؤَوَّب، المطيّ، الراكب، والشاعر نفسه)، والجبل هذا له تاريخ كبير جدًّا أقدم من التاريخ البشري نفسه وقد أشار إلى ذلك بقوله: [من البحر الطويل]

16) وَكَم مَرَّ بي مِن مُدلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ... وَقالَ بِظِلّي مِـــــن مَطِيٍّ وَراكِبِ

استعمل هنا الفعل الماضي للدلالة على الزمن القديم، ثُمّ استعمل المُضارع للدلالة على أنّ تاريخه ما زال، وأنه ما زال يؤثر ويُعَدُّ فاعلًا في التاريخ البشري وليس مجرد أداة: [من البحر الطويل]

21) فَحَتّى مَتى أَبقى وَيَظعَنُ صاحِبٌ ... أُوَدِّعُ مِنهُ راحِـــــــــلاً غَيرَ آيِبِ
22) وَحَتّى مَتى أَرعى الكَواكِبَ ساهِراً ... فَمِن طالِعٍ أُخرى اللَيالي وَغارِبِ

أما المعيار الثاني في قصيدة الجبل هو المعيار القائل "بأَنْ لَا يُفْهَمَ أَنَّ المَصْلَحَةَ الإِنْسَانِيَّةَ هِيَ المَصْلَحَةُ المَشْرُوعَةُ الوَحِيدَةُ"؛ أي أنّ النص البيئي يُعالج الظاهرة أو العنصر الطبيعي على أنه من الأمور الرئيسة، ويجعلُهُ المحورَ في النص ومنه المركزية، وقد تجلّى ذلك في كون الجبل ملجأً لجميع الشرائح البشرية، فهو جبل واحد استعانتْ به مجموعة من البشر على اختلافهم وغاياتهم، فكأنّ الجبل هو المحور، والبشر المذكورون هم الهامش، إنَّ الجبلَ مَنَحَ الجميعَ على اختلافاتهم ما يُريدون؛ القاتل منحه الملجأ، والأوّاه منحه الهدوء والسكينة، والقائل أعطاه الظل، والمطي والراكب أعطاه فرصة الاستراحة والغفوة، ومنح الشاعر الإلهام، أما تلك الشرائح مَنَحَتْ الجَبَلَ شيئًا واحدًا هو الأُنْسُ، لقد احتوتْ القصيدة على معيارَيْن من أصل أربع مما يجعلها مُصَنَّفَةً ضِمْنَ شعر الطبيعة ومقبولةً في النقد البيئي.

ب) قصيدة أرض الأندلس:

هذه القصيدة مُركَّبَةٌ من مَقْطَعَيْنِ مُتكاملَيْن في الموضوع، مُختلفَيْنِ في الوزن، فالقطعة الأولى من البحر البسيط وهي الأبيات الثلاثة الأولى، والأخرى من البحر الكامل وهي بقية الأبيات، وقد وافقتْ مِعيارَيْنِ الأوّل؛ لقد جَعَلَ الشاعرُ للأندلس شأنًا كبيرًا، جعلها وديارها وطبيعتها قُطْبًا مركزيًّا فيه كل ما لَذَّ وطَابَ، قُطبًا يَجْذِبُ القلوبَ ويَخْطِفُ الأبصارَ، ومن شدة تأثير أرض الأندلس فيه وفي الناس جعلها في مَكَانَةِ جَنَّةِ الخُلْدِ، بل فَضَّلَهَا عليها وقال: [من البحر البسيط]

1) يَأَهــــــــلَ أَنـــــــــدَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ... مـــــــــــاءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجارُ
2) ما جَنَّةُ الخُلدِ إِلّا في دِيارِكُمُ ... وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

أي أنَّ أرضَ الأندلس تمتلك عناصر الحياة (الماء، الظل، الأشجار والجمال) وبذلك تصبح مركزًا للحياة، كما في قِصَّةِ هاجرَ وماء زَمزَم؛ فعندما كانت الأرض مُجَرَّدَ صحراءَ قاحلةً في

الواد لم تكُنِ الأرضُ محورًا ولا مصدرَ اهتمام، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ إبراهيم [37]، وعندما أصبحتْ الأرضُ ذاتَ ماء وخير قصدها الناس من كُلِّ فَجٍّ، عِنْدَئِذٍ صارتْ مركزًا ومحورًا كبيرًا في التاريخ الطبيعي والبشري، فحيثما وُجِدَ الماءُ والأرضُ الخِصْبَةُ أصبحتْ الأرض التي تحويهما مركزًا مهمًا كما في حضارة بلاد الرافدين المحفوفة على ضفاف دجلة والفرات، والحضارة المصرية على ضفاف النيل، كذلك الأمر في الاندلس، وقد وافق المقطع الآخر من القصيدة معيارًا آخر وهو القائل بأنَّ "بَعْضَ الشُّعُورِ بِالبِيئَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ نَهْجًا بَدَلًا مِنْ كَوْنِهِ ثَابِتًا أَوْ مُعْطًى فِي النَّصِّ بِشَكْلٍ ضِمْنِيّ عَلَى الأَقَلِّ" أي أنْ يُعالج النص مشاكل بيئية تسبب فيه الإنسان ويتحدث عنها، وقد تجلى ذلك في قوله: [من البحر الكامل]

4)عاثتْ بساحتِك العِدَا يا دارُ ... ومَحَا مَحاسنَكِ البِلَى والنارُ

5) وإذا تردّد في جَنابِك ناظرٌ ... طال اعتبارٌ فيك واستِعبارُ

6) أرضٌ تقاذفَتِ الخُطوبُ بأهلِها ... وتمخَّـــــــضَتْ بخرابِها الأقدارُ

7) كتبتْ يدُ الحِدْثانِ في عَرَصاتِها: ... "لا أنتِ أنتِ، ولا الدّيارُ ديارُ

هنا يتحدث الشاعر عن الخراب الذي أحدثَتْهُ النصارى في مدينة بَلَنْسَيَةَ في الأندلس، مما رَوَّعَ أهل الأندلس وأحزنهم وأحرقَ قلوبهم كما حدث سابقًا مع مدينة طُلَيْطِلَةَ.

ج) قصيدة شجرة الأراكة:

في قصيدة الشجرة نجد معيارَيْنِ اثنَيْنِ؛ الأول يرى أنَّ "البِيئَةَ غَيْرُ البَشَرِيَّةِ مَوْجُودَةٌ لَيْسَتْ فَقَطْ كَأَدَاةٍ، وَلَكِنْ كَحُضُورٍ يَبْدَأُ فِي الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ التَّارِيخَ البَشَرِيَّ مُتَوَرِّطٌ فِي التَّارِيخِ الطَّبِيعِي"، وقد تجلى ذلك في قوله: [من البحر الكامل]

1) وَأَراكَةٍ ضَرَبَت سَماءً فَوقَنا ... تَندى وَأَفلاكُ الكُؤوسِ تُدارُ

أي أن هذه الشجرة مُعَمِّرة كبيرة في السن، تمتد جذورها وجذوعها، ضربت في التاريخ من التعمير ما جعلها تُطاول السماء، فلا شك أن شجرة بهذه الصفات قد دَرّت على التاريخ الإنساني الخيرَ الكثيرَ الوفيرَ، وها هو الشاعر يُبَيّنُ ذلك فيقول: [من البحر الكامل]

6) غَنّاءَ يَنشُرُ وَشيَهُ البَزّازُ لي ... فيها وَيَفتُقُ مِسكَهُ العَطّارُ

إنَّ هذه الشجرةَ كانتْ مؤثرةً في الإنسان وتاريخه وحياته اليومية منذ تاريخ طويل، فندرك من قول الشاعر أنَّ البَزّازَ – بائعَ الثياب – والعَطَّار قد استأنسا بالشجرة واستفادا منها؛ أمّا البَزَّازُ نَشَرَ تحت ظلالها الثيابَ للبيع، وأما العَطَّارُ فقد كان يصنع منها العطر والبخور، وقد وافقت القصيدة المعيار القائل "بِأَنْ لَا يُفْهَمَ أَنَّ المَصْلَحَةَ الإِنْسَانِيَّةَ هِيَ المَصْلَحَةُ المَشْرُوعَةُ الوَحِيدَةُ" بل يَضَعُ المركزيةَ للطبيعة أيضًا فيقول: [من البحر الكامل]

6) غَنّاءَ يَنشُرُ وَشيَهُ البَزّازُ لي ... فيها وَيَفتُقُ مِسكَهُ العَطّارُ

إنَّ الشجرةَ تُمَثِّلُ المركزَ الذي يجتمع فيه البشر ويستفيدون منه، ففي البيت قد اجتمعَ البَزَّازُ والعَطَّارُ والشَّاعِرُ على اختلافهم واختلاف غاياتهم من جهة، ومن جهة أخرى تُعَدُّ الشجرةُ مَرْكَزًا وَسَطًا بين السماء والأرض، وذلك أنها تلامسُ السماءَ في الأعلى وتلامسُ الأرضُ في الأسفل: [من البحر الكامل]

1) وَأَراكَةٍ ضَرَبَت سَماءً فَوقَنا ... تَندى وَأَفلاكُ الكُؤوسِ تُدارُ

2) حَفَّت بِدَوحَتِها مَجَرَّةُ جَدوَلٍ ... نَثَرَت عَلَيهِ نُجومَها الأَزهارُ

لقد تمركزت الشجرةُ بين السماء العالية وجدول الماء على الأرض، في السماء ترعى الطيور وتَهُزُّ الرياحُ أفانينَها وتَنْثُرُ أزاهيرَها، وفي الأرض تمُدُّ ظلالها تُدْنِي ثِمَارَها وتَسْحَرُ بجمالها.

د) قصيدة الذئب المتنكر في الظلام:

في قصيدة الذئب نجد معيارين؛ الأول هو المعيار الذي يرى "أَنْ لَا يُفْهَمَ أَنَّ المَصْلَحَةَ الإِنْسَانِيَّةَ هِيَ المَصْلَحَةُ المَشْرُوعَةُ الوَحِيدَةُ"، وأنَّ المركزية لا يَنفرد بها الإنسان فقط، فها هو الذئب يَفْرِضُ وجوده ومركزيّته على الإنسان بالترويع والترهيب وفي ذلك يقول: [من البحر الكامل]

4) قَد لَفَّني فيها الظَلامُ وَطافَ بي ... ذِئبٌ يُلِمُّ مَعَ الدُجى زُوّارُ

5) طَرّاقُ ساداتِ الدِيارِ مُساوِرٌ ... خَتّالُ أَبناءِ السُرى غَدّارُ

إنَّ الذئبَ فَرَضَ بقوّته وهيبته مركزيّتَه أمام البشر في الليل بمهاجمتهم والغدر بهم، والمعيار الآخر في هذه القصيدة هو القائل "بِالمُسَاءَلَةُ البَشَرِيَّةُ تُجَاه البِيئَةِ جُزْءٌ مِنَ التَّوَجُّهِ الأَخْلَاقِيّ" أي الشعور بالمسؤولية في الحفاظ على البيئة وكائناتها، والنهي عن إيذائها، وذلك جليٌّ في عدم تعرض الشاعر لإيذاء الذئب أو قتله، وكذلك عدم تعرض أهل الديار له رغم أنه كما قال كان(زوّارًا) –أي كثير المجيء–، و(طراق سادات الديار) –أي يهاجم أهل القرى ليلًا في

ديارهم كثيرًا ويبطش بهم–، بالرغم من ذلك كله إلا أنهم لم يُؤذوه ولم يقتلوه، وكذلك الأمْرُ مع الشاعر الذي اكتفي بِحَمْلِ مِشْعَلٍ يَصُدُّ به الذئبَ وانتظرَ انقشاعَ الظلامِ الذي يسير بِبُطْءٍ من كثرة التركيز في انتظار انقشاعه حتى طلوع النهار: [من البحر الكامل]

7) فَعَشَوتُ في ظَلماءَ لَم تُقدَح بِها ... إِلّا لِمُقلَتِهِ وَبَأسـي نارُ
8) وَرَفَلتُ في خُلَعٍ عَلَيَّ مِن الدُجى ... عُقِدَت لَها مِن أَنجُمٍ أَزرارُ
9) وَاللَيلُ يَقصُرُ خَطوَهُ وَلَرُبَّما ... طالَت لَيالي الرَكبِ وَهيَ قِصارُ

مما سبق يُمكن القول: إنَّ القصائدَ الأربعةَ المُختارَةَ ذاتُ قيمة بيئية تُتِيحُ إمكانيةَ تصنيفها ضِمْنَ الشعر الطبيعي البيئي من جهة، ومن جهة أخرى إمكانية نقدها نقدًا بيئيًّا بفضل موافقته للمعايير وما حوته من قيمة بيئية كبيرة.

ثانيًا: وصف الطبيعة الصامتة والحية وتجليات الوعي البيئي في شعر ابن خفاجة:

إنَّ التحليلَ البيئيَّ للشعر يُحَتِّمُ تصنيفَ القصائد التي وافقت معايير بويل وحوتْ قِيَمًا إلى صنفَيْنِ: **الأول**؛ صنف قصائد البيئة الصامتة– الجمادات–، و**الآخر**؛ هو قصائد البيئة الحية –الكائنات الحية–، وفي هذا البحث الطبيعة الصامتة هي (الجبل وأرض الأندلس)، والطبيعة الحية هي (الشجرة والذئب) وتحليل القصائد الأربعة فيما يلي:

أ) وصف البيئة الصامتة:

أ/1) قصيدة الجبل:

<u>* البنية السطحية:</u>

يَصِفُ الشاعرُ في قصيدته هذه البيئةَ الصامتةَ المُتَمَثِّلَةَ في (الجبل)، وتُعَدُّ هذه القصيدةُ من أشهر قصائده وأروعها، فيها يُصَوِّرُ الطبيعةَ ومظاهرَها على أنها شيخٌ كبيرٌ طاعنٌ في السِّنِ يرتدي عمامةً سوداءَ، يشكو طولَ الدَّهْرِ، ويَنْدُبُ الأَحِبَّةَ: [من البحر الطويل]

10) وَأَرعَنَ طَمّاحِ الـذُؤابَةِ باذِخٍ ... يُطاوِلُ أَعنانَ السَماءِ بِغارِبِ
11) يَسُدُّ مَهَبَّ الـريحِ عَن كُلِّ وُجهَةٍ ... وَيَزحَمُ لَيلاً شُهبَهُ بِالمَناكِبِ
12) وَقورٍ عَلى ظَهرِ الفَلاةِ كَأَنَّهُ ... طِوالَ اللَيالي مُفكِّرٌ في العَواقِبِ

13) يَلوثُ عَلَيهِ الغَيمُ سودَ عَمائِمٍ ... لَها مِن وَميضِ البَرقِ حُمرُ ذَوائِبِ

صَوَّرَ الجَبَلَ في صورة شيخٍ حكيمٍ طاعنٍ في السِّنِّ عِمْلَاقٍ (أرعن طماح الذؤابة) يرتدي عمامةً سوداءَ (سود عمائم)، وقد زاد معنى الشاعر وأصبح أَبْلَغَ عندما جَعَلَ قوافيَ القصيدةِ مُؤَسَّسَةً بالألف الطويلة التي تَزِيدُ الطُّولَ البَصَرِيَّ إلى جَانِبِ الطُّولِ المَعْنَوِيِّ في هَنْدَسَةِ القصيدةِ البَصَرِيَّةِ، وهذا الجبلُ كما صَوَّرَهُ يبدو قَلِقًا مِنْ طُولِ الليالي وكثرة التفكير والتعب من التعمير:

[من البحر الطويل]

12) وَقورٍ عَلى ظَهرِ الفَلاةِ كَأَنَّهُ ... طِوالَ اللَيالي مُفكِّرٌ في العَواقِبِ

21) فَحَتّى مَتى أَبقى وَيَظعَنُ صاحِبٌ ... أُوَدِّعُ مِنهُ راحِـــــــــلاً غَيرَ آيِبِ

22) وَحَتّى مَتى أَرعى الكَواكِبَ ساهِراً ... فَمِن طالِعٍ أُخرى اللَيالي وَغارِبِ

لقد عَبّرَ الشاعرُ مَعنويًّا بالكلمات عن طول العُمر والحزن والتفكير، كما عَبَّرَ عنه من ناحية الوزن فقد استعملَ البَحْرَ الطَّوِيلَ الذي يَمْتازُ بطول المقاطع وثِقَلِهَا، مِمَّا نَاسَبَ مَوضُوعَ القصيدةِ بِشَكْلٍ بديعٍ، لقد أَثَّرَ الجَبَلُ في الشاعر مِمَّا جَعَلَهُ يَسمعُ شَكواه ويُصغي إليه ويَسْتَأْنِسُ بِهِ: [من البحر الطويل]

14) أَصَختُ إِلَيهِ وَهوَ أَخرَسُ صامِتٌ ... فَحَدَّثَني لَيلُ السُرى بِالعَجائِبِ

24) فَأَسمَعَني مِن وَعظِهِ كُلَّ عِبرَةٍ ... يُتَرجِمُها عَنهُ لِسانُ التَجارِبِ

25) فَسَلّى بِما أَبكى وَسَرّى بِما شَجا ... وَكانَ عَلى عَهدِ السُرى خَيرَ صاحِبِ

إنّ قِيَمَ القصيدة تَتَّفِقُ مع قيمة البيئة الحالمة الآمنة التي تُؤوي الإنسان، وقد تَمَثَّلَ ذلك في قوله: [من البحر الطويل]

15) وَقالَ أَلا كَم كُنتُ مَلجَأَ قاتِلٍ ... وَمَـــــــــوطِنَ أَوّاهٍ تَبَتَّلَ تائِبِ

16) وَكَم مَرَّ بي مِن مُدلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ... وَقالَ بِظِلّي مِن مَطِيٍّ وَراكِبِ

إنَّ ألفاظَ القصيدة ومُعْجَمَها غالبيتُهُمَا من مُعْجَمِ الطبيعة الصامتة (المشارق، المغارب، الفيافي، الغياهب، ليل، الفلاة، الغيم، البرق، الرياح...)، ولها دلالة تَغَيُّر الأحوال المحيطة بالجبل الذي هو مِحْوَرُ القصيدة، فهو ثابت في مكانه وتتبدل الأوضاع من حوله (شروق،

غروب، ليل، نهار، رياح، سحب...)، وقد ناسبت الألفاظُ بعضَ الألفاظ الأخرى مثل (ملجأ القاتل في ظلام الفلاة، وموطن الأواه وتبتُّله وقت الغروب والليل، والمطي الراكب في الشروق والنهار الظل في الفيافي،...)، لقد مَثَّلتْ بيئةُ الجَبَلِ مِحورَ القصيدة إذْ فيه تلتقي الأضدادُ وتَخْتَلِفُ الغاياتُ، (قاتل ≠ أوّاه/ مشارق ≠ مغارب/ مقيم ≠ ذاهب)، ورغم الاختلافات إلا أنَّهُ شَكَّلَ للجميع الأمانَ والاستقرارَ، مِمَّا لَفَتَ انتباهَ الشاعرِ وأثَّرَ في نفسه.

*** البنية العميقة:**

لقد تَمَثَّلَت في قصيدة الجبل العديدُ من مقولات النقد البيئيّ ومنها (مبدأ الأنا والآخر)؛ فالشاعرُ يُمثّل الأنا في مَطْلَعِ القصيدة ومُخْتَتَمها، بينما يُمَثِّلُ الجبلُ الأنا في وَسَطِ القصيدة، ويَجْعَلُ البَشَرَ هم الآخر وذلك متمثل في الأبيات: [من البحر الطويل]

15) وَقالَ أَلا كَم كُنتُ مَلجَأَ قاتِلٍ ... وَمَـــــــــوطِنَ أَوّاهٍ تَبَتَّلَ تائِبِ
16) وَكَم مَرَّ بي مِن مُدلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ... وَقالَ بِظِلّي مِن مَطِيٍّ وَراكِبِ
17) وَلاطَمَ مِن نُكبِ الرِياحِ مَعاطِفي ... وَزاحَمَ مِن خُضرِ البِحارِ غَوارِبي
18) فَما كانَ إِلّا أَن طَوَتهُم يَدُ الرَدى ... وَطارَت بِهِم ريحُ النَوى وَالنَوائِبِ
19) فَما خَفقُ أَيكي غَيرَ رَجفَةِ أَضلُعٍ ... وَلا نَوحُ وُرقي غَيرَ صَرخَةِ نادِبِ
20) وَما غَيَّضَ السُلوانَ دَمعي وَإِنَّما ... نَزَفتُ دُموعي في فِراقِ الصَواحِبِ
21) فَحَتّى مَتى أَبقى وَيَظعَنُ صاحِبٌ ... أُوَدِّعُ مِنـــــــهُ راحِلاً غَيرَ آيِبِ
22) وَحَتّى مَتى أَرعى الكَواكِبَ ساهِراً ... فَمِن طالِعٍ أُخرى اللَيالي وَغارِبِ
23) فَرُحماكَ يا مَولايَ دِعوَةَ ضارِعٍ ... يَمُدُّ إِلى نُعماكَ راحَةَ راغِبِ

كما اشتملت القصيدة على مَقُولَتَيْ (الأَلْسَنَةِ والأَنْسَنَةِ)، فالأَنْسَنَةُ جَعْلُ الجماداتِ والنباتاتِ والحيواناتِ تَتَكَلَّمُ، وقد تَمَثَّلَتْ في الأبيات السابقة الذكر، بينما الأَنْسَنَةُ إِسْقَاطُ صِفَاتٍ بَشَرِيَّةٍ على عناصر الطبيعة الصامتة والحية وشَحْنِهَا بأفعال الإنسان وأحاسيسه غالبًا، وقد تَجَلَّت الأَنْسَنَةُ في الأبيات (10 إلى 25)، في هذه الأبيات نرى الجبلَ يَتكلم ويَشْعر كما يشعر الإنسان، ويَفْعَلُ أفعالَه (قال، رجفة أضلعي، صرخة نادب، نزفت دموعي، أرعى الكواكب،

ساهر،...)، كما تَجَلَّت مَقُولَةُ (النظرة الحالمة المسالمة للطبيعة غير المُهدّدة) في البيتينِ: [من البحر الطويل]

15) وَقالَ أَلا كَم كُنتُ مَلجَأَ قاتِلٍ ... وَمَـــــــــوطِنَ أَوّاهٍ تَبَتَّلَ تائِبِ

16) وَكَم مَرَّ بي مِن مُدلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ... وَقالَ بِظِلّي مِن مَطِيٍّ وَراكِبِ

حيثُ كانَ الجبلُ رغم الظلام والوِحشة والبُعد والرهبة ذا طابعٍ يُوحي بالأمن والسلام للجميع (قاتل، أوّاه متبتل، قاطع طُرُق، مسافر، مغامر، شاعر...)، كما احتوت القصيدة على (الوعي البيئيّ وغَلَّب فيها المعنى الروحي على المادي)، بالرغم من ذكره بعض الصفات المادية إلا أنه غَلَّب الجانبَ الروحيَّ على الماديّ بالتركيز على إحساس الجبل بالحزن وحُرقة فراق الأحبة والقلق المزمن من طول الأمد وتقلُّبات الدهر، وذلك جليٌّ في الأبيات (15 إلى22)، لقد شَكَّلَ الجبلُ بالنسبة للإنسان بمُخْتَلف شرائحه (استدامةً)؛ إذْ بقيَ على مدى أزمنةٍ يَنْفَعُ الناسَ ويُشكِّلُ مَرْكَزًا مُهمًّا في حياتهم مُلَبّيًا احتياجَاتِهم، كذلك شَكّلَ الجَبَلُ (بيئةً عميقةً) كما صَوَّرَهُ الشاعرُ.

أ/2) قصيدة أرض الأندلس:

* البنية السطحية:

يَسْتَعْمِلُ الشاعرُ خيالَهُ البيئيَّ ويَصِفُ لنا أرضَ الأندلسَ على أنها جَنَّةُ الخُلْد؛ إذْ يقول: [من البحر البسيط]

2) مـــــــا جَنَّةُ الخُلدِ إلّا في دِيارِكُمُ ... وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

3) لا تَختَشوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَقراً ... فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ

قد صَوَّرَهَا بهذا التصوير لأنها أرضٌ طيّبةٌ ذاتُ أشجارٍ وأنهارٍ وحدائقَ ذاتَ بَهْجَةٍ فيها مِنْ كُلِّ الخيرات: [من البحر البسيط]

1)يَأَهـــــــلَ أَندَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ... مـــــــــاءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجارُ

2) ما جَنَّةُ الخلد إلّا في دِيارِكُمُ ... وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

ثم صَوَّرَهَا في المقطع الثاني (ابتداءً من البيت 4 إلى 7) أرضًا خاويةً على عُرُوشِهَا، تَأْكُلُ هَشِيمَهَا النارُ: [من البحر الكامل]

4) عاثتْ بساحتِك العِدَا يا دارُ ... ومَحَا مَحاسنَكِ البِلَى والنارُ

5) وإذا تردّد في جَنابِك ناظرٌ ... طال اعتبارٌ فيك واستِعبارُ

6) أرضٌ تقاذفَتِ الخُطوبُ بأهلِها ... وتمخَّضَـــــــــتْ بخرابِها الأقدارُ

7) كتبتْ يدُ الحِدْثانِ في عَرَصاتِها: ... "لا أنتِ أنتِ، ولا الدّيارُ ديارُ

لمْ يَكْتَفِ بِرَسْمِ المعاني لِكِلَا المَقْطَعَيْنِ بالرسم المعنويّ، بل قام أيضًا برسم المعاني بَصَرِيًّا باستخدام الهندسة البَصَرِيَّةِ للقصيدة بفضل حرف الروي (الراء) وحرف الردف (الألف)، في المقطع الأوّل كأنَّ حرفَ الألفِ أشجارٌ وجبالٌ شامخةٌ، والراء أنهارٌ وشلّالاتٌ مُنْسَابَةٌ لِلْأَسْفَلِ من أعالي الجبال، فالناظرُ للقصيدة في شَكْلِهَا الهندسيّ يَجِدُهَا كَأَنَّهَا شَلّالاتٌ تَنْسَابُ من أعالي الجبال وتَحُفُّها الأشجارُ والمُرتفعاتُ على مَدِّ البَصَرِ(الصورة –أ–)، بينما تُمَثِّلُ الألفُ والراءُ في المَقْطَعِ الآخر(من 4 إلى7) أطلالاً لِمَنَازِلَ مُنْهَارَةً مُدمرةً وأشجارًا يابسةً (الصورة –ب–).

[الصورة –أ– مشهد الأبيات الأولى من 1إلى3]

[الصورة –ب– مشهد الأبيات الأولى من 4إلى 7]

لقد أثَّرَت الطبيعةُ الأندلسيةُ في الشاعر تأثيرَينِ مُتَضَادَّيْنِ: **الأوّل**؛ هو الافتتانُ بها دَرَجَةَ تَفْضِيلِهَا على جَنَّةِ الخُلْدِ، والتأثير **الآخر**؛ الحسرة والحزن الكبير عليها بَعْدَ تدميرها وتَحْوِيلِهَا إلى خرابٍ وأطلالٍ يُطِيلُ فيها الاسْتِعْبَارَ: [من البحر الكامل]

5) وإذا تـــــردّد في جَنابِك ناظرٌ ... طال اعتبارٌ فيك واستِعبارُ

لقد صَوَّرَت القصيدةُ مُشْكِلَةً بيئيّةً تَتَمَثَّلُ في تخريب وتدمير الإنسانِ للطبيعة والمحيط: [من البحر الكامل]

4) عاثتْ بساحتِك العِدَا يا دارُ ... ومَحَا مَحاسنَكِ البِلَى والنارُ

6) أرضٌ تقاذفَتِ الخُطوبُ بأهلِها ... وتمخَّضَـــــــــتْ بخرابِها الأقدارُ

إنَّ المعجم اللغوي للقصيدة ينقسم إلى قسمَيْنِ: **قبل تدمير الأرض**؛ (الماء، الظل، أنهارٌ، أشجارٌ والخلد)، و**بعد تدميرها**؛ (عاثت، العِدا، مَحَا، البِلى، النار، اعتبارٌ، استعبارٌ، تقاذفت الخطوب وخرابها)، هذه الألفاظ ناسبت المَوْصُوفَ في حَالَتَيْهِ **الأولى الجميلة**، و**الأخرى المُدمرة المُخرّبة**.

*** البنية العميقة:**

تَزْخَرُ هذه القصيدةُ بالمقولات البيئية، نَذْكُرُ منها مقولة (النظرة الحالمة غير المُهددة للطبيعة)، حَيْثُ شَبَّهَهَا في خَيْرِهَا وأمانِها بِجَنَّةِ الخُلْدِ: [من البحر البسيط]

2) ما جَنَّةُ الخُلدِ إلّا في دِيارِكُمُ ... وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

3) لا تَختَشوا بَعدَ ذا أَن تَدخُلوا سَقراً ... فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ

كما احتوتْ مَقُولَةَ (الخيال البيئيّ) الذي به شَبَّهَ أرضَ الأندلسِ بالخُلْدِ في الجمال والأمان والكمال، وهذا بِدَوْرِهِ أدى به إلى (الافتتان بالطبيعة) إلى دَرَجَةِ تَفْضِيلِها على الخُلْدِ الأعلى: [من البحر الكامل]

2) ما جَنَّةُ الخُلدِ إلّا في دِيارِكُمُ ... وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

لقد احتوت القصيدةُ على (التناصّ البيئيّ) حيث تَنَاصَّ الشاعرَ بيئة الجَنَّةِ العُلْيَا –الخُلْدَ– وبيئة الجحيم سَقَر، واستعان بهما في التصوير، كما صَوَّرَ الشاعرُ في المقطع الثاني انتهاكًا واضحًا وخَطِرًا (للمركزية البيئية)، حيث دَمَّرَهَا الإنسانُ وأَحْرَقَ أَشْجَارَهَا وَخَرَّبَ دِيَارَها مُشكِّلًا (إبادةً بيئيَّةً).

ب) وصف البيئة الحية:

ب/1) قصيدة شجرة الأراك:

*** البنية السطحية:**

يَصِفُ الشاعرُ في هذه القصيدة شجرةَ الأَرَاكِ ويُصَوِّرُهَا بِصُورَةِ حَسْنَاْء بِكْرٍ ترتدي حِزامًا أزرقَ مُحْفُوفًا مُطَرّزًا بالأَزْهَارِ، تَنْشُرُ الأَزْهَارَ وَتَرُشُّ الأجواءَ عطرًا، وقد جَعَلَ تلك الشجرةَ ذاتَ قِيمَةٍ ومَكَانَةٍ كبيرةٍ وتأثيرٍ في الطبيعة، وذلك بتعطير الأجواء، ومَدّ الظلال ونَثْرِ الأزهارِ من

جهة، وكَوْنِها مَرْكَزًا ومَجْلِسًا للناظرين والمُتأملين والبائعين من جهة أخرى، إنَّ هذه الشجرةَ قد حَمَلَتْ قِيمَةً بيئيةً مُتَمَثِّلَةً في كَوْنِهَا مَلَاذًا آمِنًا حُسْنُهُ يَسُرُّ الناظرين ويَجْذِبُ المُتأملين: [من البحر الكامل]

6) غَنّاءَ يَنشُرُ وَشيَهُ البَزّازُ لي ... فيها وَيَفتُقُ مِسكَهُ العَطّارُ
7) قامَ الغِناءُ بِها وَقَد نَضَحَ النَدى ... وَجهَ الثَرى وَاِستَيقَظَ النُوّارُ

فهي تُمَثِّلُ الجمالَ والأمانَ والاطمئنانَ والرَّغَدَ في الحياة، وقد احتوت القصيدة على جُمْلَةٍ من الألفاظ البيئية ذاتِ الدلالاتِ المُعَبِّرَةِ تَعْبِيرًا دقيقًا عن الجمال في أصولِهِ وعن العطاء وطُولِهِ، ومن تلك الألفاظ؛ (أراكة، سماء، دَوْحة، مَجَرّة، أزهار، نُوَّار، الغصون، رَوْضة، ظل، أنوار، غَنّاء، مسك، الماء، الأشجار...)، لقد دلّتْ هذه الألفاظ على معاني الجمال وسحر الطبيعة في أَبْهَى صُوَرِهَا، مِمَّا جَعَلَ الشاعرَ وغَيْرَهُ يُفْتَتَنُونَ بِهَا ويَنْقادون إليها من فَرْطِ جَمَالِهَا الأَخَّاذِ.

*** البنية العميقة:**

إنَّ قصيدةَ الشجرةِ تَحْمِلُ تَمُثلاتٍ لمقولاتٍ كثيرةٍ في النقد البيئيّ، ومن تلك المقولاتِ المَقُولَةُ القائلةُ (بالنظرة الحالمة غير المُهددة للطبيعة)، فالشجرةُ كانَتْ مَصْدَرَ أمانٍ وخَيْرٍ ورِزْقٍ للإنسان والطبيعة، تَنْشُرُ جَمَالَهَا في الطبيعة من جهة، ومن جهة أخرى هي مَصْدَرُ أَمْنٍ وتَجَمُّعٍ وبَهْجَةٍ للإنسان: [من البحر الكامل]

6) غَنّاءَ يَنشُرُ وَشيَهُ البَزّازُ لي ... فيها وَيَفتُقُ مِسكَهُ العَطّارُ
7) قامَ الغِناءُ بِها وَقَد نَضَحَ النَدى ... وَجهَ الثَرى وَاِستَيقَظَ النُوّارُ

وقد كان (الخيالُ البيئيُّ) للشاعر خَيَالًا خِصْبًا في تَصْوِيرِهِ هذا، حيث شَبَّهَ الشجرةَ بالمرأة البِكْرِ الحِسْنِاءِ ذاتِ الحِزَامِ المُوَشّحِ بالزهر والورود والجمال، وهي قرب جدول ماء رقراقٍ تَنْثُرُ فيه الأزهار مِمَّا أَصَابَ الناظرين – الشاعرَ، البَزّاز، والعطّار – بالافتتان بها، أي (الافتتان بالطبيعة) والتَّمَتُّع بِجَمَالِها وظلالها وثِمَارِهَا، كما حَمَلَت القصيدة (استدامة) تَكْمُنُ في الحفاظ على الموارد البيئة

وعَدَمِ إِتْلَافِها أو تدميرِها، ووُجُوبَ الاعتناء بها لِيَنْتَفِعَ بها الناسُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ على المدى البعيد، إنَّ كَوْنَهَا رِزْقًا للعَطَّارِ وظِلًّا للبائع البَزَّاز وإلهامًا للشاعر كان سَبَبَ حُبِّهم لها ومُحافَظَتِهم عليها من (الإبادة البيئية) كالقطع أو الحرق أو التدمير، إذْ جعلوها (مَرْكَزًا إيكولوجيًّا) ذا مكانةٍ عاليةٍ بالنسبة لهم، وأَحَسُّوا بها حِسًّا مكانيًّا جَعَلَهُم ينظرون إليها على أنها محيطُ تفاعلٍ وليسَ مُجَرَّدَ خَلْفِيَّة للأحداثِ.

ب/2) قصيدة الذئب المُتنكّر في الظلام:

*** البنية السطحية:**

رَسَمَ الشاعرُ في هذه القصيدةِ أبرزَ مَعالم وخصائص ومميزات البيئة الحية المُتَجَلِيَةِ في أَحَدِ الكائنات الحية وأكثرِها إلهامًا عند شعراء الطبيعة – الذئبَ–، حيث مَثَّلَ الذئبُ الموضوعَ الأساسَ ومَرْكَزْ الاهتمامِ والإلهامِ لابن خفاجةَ في هذه القصيدة حيث صَوَّرَ طبائعَ وخواصَّ هذا الكائن إذ يقول في هذا: [من البحر الكامل]

1) وَمَفازَةٍ لا نَجمُ في ظَلمائِها ... يَسري وَلا فَلَكٌ بِها دَوّارُ
2) تَتَلَهَّبُ الشِعرى بِها وَكَأَنَّها ... في كَفِّ زِنجِيِّ الدُجى دينارُ
3) تَرمي بِهِ الغيطانُ فيها وَالرُبى ... دُوَلاً كَما يَتَمَوَّجُ التَيّارُ
4) قَد لَفَّني فيها الظَلامُ وَطافَ بي ... ذِئبٌ يُلِمُّ مَعَ الدُجى زُوّارُ
5) طَرّاقُ ساداتِ الدِيارِ مُساوِرٌ ... خَتّالُ أَبناءِ السُرى غَدّارُ
6) يَسري وَقَد نَضَحَ النَدى وَجهَ الصَبا ... في فَروَةٍ قَد مَسَّها اِقشِعرارُ
7) فَعَشَوتُ في ظَلماءَ لَم تُقدَح بِها ... إِلّا لِمُقلَتِهِ وَبَأســـــــــــي نارُ
8) وَرَفَلتُ في خُلَعٍ عَلَيَّ مِن الدُجى ... عُقِدَت لَها مِن أَنجُمٍ أَزرارُ
9) وَاللَيلُ يَقصُرُ خَطوَهُ وَلَرُبَّما ... طالَت لَيالي الرَكبِ وَهيَ قِصارُ
10) قَد شابَ مِن طَرَفِ المَجَرَّةِ مَفرِقٌ ... فيها وَمِن خَطِّ الهِلالِ عِذارُ

يُجَسِّدُ الشاعرُ الذِّئْبَ الذي يَخْرُجُ آناءَ الليلِ، ذلك المتربص الباحث عن فريسة، والمُتَسَلِّحِ بِكُلِّ أنواع الخُبْثِ والحَذَرِ والتَّخَفِّي، والمُسْتَعِدِّ للانقضاض على الفريسة عند الفرصة السانحة له، الذئب الذي يسري في الفيافي، والوديان والواحة والصحراء، في أعقاب الليل الدامي، وقد مَثَّلَهُ الشاعرُ في هذه القصيدة بالرَّجُلِ السِّكِّيرِ الذي يَخْرُجُ كل ليلة لاحتساء الخمرة، وبعد ليلة

صاخبة يَهِيمُ في الطرقات، – كما صَوَّرَ الشاعرُ خَوْفَهُ من هذا الكائن الذي صَادَفَهُ في إحدى الليالي، يقول: [من البحر الكامل]

8) وَرَفَلتُ في خُلَعٍ عَلَيَّ مِن الدُجى ... عُقِدَت لَها مِن أَنجُمٍ أَزرارُ
9) وَاللَيلُ يَقصُرُ خَطوَهُ وَلَرُبَّما ... طالَت لَيالي الرَكبِ وَهيَ قِصارُ

وما زاد المعنى إصابةً لدى الشاعر عندما نَظَمَ قوافيَ هذه القصيدة بِأَلِفِ الرَّدْفِ التي تَزِيدُ إلى جانبِ الطُّولِ المَعْنَوِيّ التصويرَ البَصَرِيَّ، وبها نَقَلَ المعانيَ للدلالة على حالة الهلع، والخوف والرهبة، التي يتركها الذئبُ في النفوس، كما استعملَ الراءَ حرفَ رَوِيًّا للدلالة على تَكْرَارِ الهجوم والتربص المُحدق الذي يمارسه الذئب على الناس، سواء في الطريق أو الغابة أو الديار، فالراء حرفٌ من صِفَاتِهِ التَّكْرَارُ وقد ناسب صِفَةَ الذِّئْبِ كثيرًا وصَوَّرَها بِدِقَّةٍ.

إلى جانب هذا يَظْهَرُ الوعيُ البيئيُ مُتَمَرْكِزًا فيمَا هو مَعْنَوِيٌّ وما هو ماديٌّ، حيثُ استَعْرَضَ الشاعرُ دُرَرَ الطبيعة من نجوم وأفلاك وغيطان وديار..، وكُلِّ ما تَحْمِلُهُ من متناقضاتٍ تَتَّصِفُ بها الطبيعةُ من بَرْدٍ ونَارٍ...، وقد تَجَلَّى ذلك في الأبيات: [من البحر الكامل]

1) وَمَفازَةٍ لا نَجمُ في ظَلمائِها ... يَسري وَلا فَلَكٌ بِها دَوّارُ
2) تَتَلَهَّبُ الشِعرى بِها وَكَأَنَّها ... في كَفِّ زِنجِيِّ الدُجى دينارُ
3) تَرمي بِهِ الغيطانُ فيها وَالرُبى ... دُوَلاً كَـــــــــما يَتَمَوَّجُ التَيّارُ

كما حَضَرَ الجانبَ الروحيُّ النفسيُّ مِنْ تَوَجُّسٍ وخَوْفٍ يَعْتَلِي الشاعرَ تُجَاهَ الذئبِ ونَسْتَشِفُّ ذلك في الأبيات: [من البحر الكامل]

4) قَد لَفَّني فيها الظَلامُ وَطافَ بي ... ذِئبٌ يُلِمُّ مَعَ الدُجى زُوّارُ
5) طَرّاقُ ساداتِ الدِيارِ مُساوِرٌ ... خَتّالُ أَبناءِ السُرى غَدّارُ
6) يَسري وَقَد نَضَحَ النَدى وَجهَ الصَبا ... في فَروَةٍ قَد مَسَّها اِقشِعرارُ
7) فَعَشَوتُ في ظَلماءَ لَم تُقدَح بِها ... إِلّا لِمُقلَتِهِ وَنَأســـــــــــي نارُ

وقد مَثَّلَتْ صفاتُ الذئبِ إلهامًا للناس وعِبَرًا يَقْتَدُونَ بها في حَيَاتِهِم، حيث مَثَّلَ الذئبُ أَحدَ عناصر البيئة الحية، إذْ وُجِدَ مع الإنسانِ القديمِ وحتى يومنا هذا، وطَالَمَا هابَ الناسُ مَنْ يَحْمِلُ صفاتِه، كما لا تخلو قِصَصُهُم وأيّامُهم من أعماله الشرسة والمروعة، وهذا ما صَوَّرَهُ الشاعرُ في قصيدَتِهِ.

*** البنية العميقة:**

تَمَظْهَرَتْ في قصيدةِ الذئبِ بعضُ مَقولات النقد البيئيّ منها: (الاستدامة)، فالشاعرُ متفاعلٌ مَسْؤُولٌ مع البيئة التي يعيش فيها يُسَلِّطُ الضوء على تحقيق التوازن بين البيئة والمجتمع البشريّ، والحفاظ على نِظَامِ البيئة الطبيعية ومواردِها الحية وغير الحية، بطريقةٍ تَضْمَنُ استدامةَ البيئة حتى تَبْقَى لأجْيَالٍ لاحِقَةٍ، وهذا ما نَسْتَشِفُّهُ في الأبيات « 1 » و « 2 » والبيت الأخير.

وقد تَمَثَّلَتْ مقولاتُ أخرى (كالخيال البيئيّ)، حيث نَلْتَمِسُ استعانةَ الشاعر بعناصرَ مألوفةٍ من مُحيطِهِ الذي يعيش فيه لفهم العمليات الطبيعية والاجتماعية، وقد كانت مُلْهِمَةً له في طريقة إبداعِهِ هذه القصيدةَ وتَصْوِيرِهِ العناصرَ الطبيعيةَ بِشَكْلٍ خياليّ خارقٍ للعادة، وتَمَثَّلَ ذلك في الأبيات: [من البحر الكامل]

2) تَتَلَهَّبُ الشِعـــــــرى بِها وَكَأَنَّها ... في كَفِّ زِنجِيِّ الدُجى دينارُ
3) تَرمي بِهِ الغيطانُ فيها وَالرُبى ... دُوَلاً كَما يَتَمَوَّجُ التَيّارُ
4) قَد لَفَّني فيها الظَلامُ وَطافَ بي ... ذِئبٌ يُلِمُّ مَعَ الدُجى زُوّارُ
5) طَرّاقُ ساداتِ الدِيارِ مُساوِرٌ ... خَتّالُ أَبناءِ السُرى غَدّارُ
6) يَسري وَقَد نَضَحَ النَدى وَجهَ الصَبا ... في فَروَةٍ قَد مَسَّها اِقشِعرارُ

كَمَا تَمَثَّلَتْ مقولةُ (المركزية الإيكولوجية) في هذه القصيدة مِنْ مَطْلَعِهَا حتى آخر بيتٍ فيها، حيثُ كانتْ التفاعلاتُ بين الكائنات الحية وبيئتها الفزيائية الحيوية؛ الإنسان والذئب وكل العناصر المحيطة بهما سواء أكانت كائناتٍ حية أو مكونًا غيرَ حَيّ أو صامت.

ثالثًا: الرؤى الجمالية والفلسفية في شعر ابن خفاجة الأندلسي:

لقد صَوَّرَ الشاعرُ ابنُ خفاجةَ الطبيعةَ الأندلسيَّةَ في صُوَرٍ خَلَّابَةٍ ومَعَانٍ عميقةٍ جَذَّابَةٍ، افتتن بِجَمَالِها وبرِيَاضِها وأشجارها وكائناتها وجبالها، فجاء شِعْرُهُ مُفعمًا بالمناظر الطبيعية الجميلة والمعاني المُضْمَرَةِ النبيلةِ، حاملًا وَعْيًا وخَيَالاً بيئيًّا خِصْبًا ذا جَمَالٍ ودِقَّةٍ، وما هذه القصائدُ الأربعةُ التي تَمَّتْ دِرَاسَتُهَا في المبحث السابق إلا غَيْضٌ من فَيْضٍ، لقد جاءت قصائِدُه حاملةً رؤًى جَمَاليَّةً فلسفيَّةً ودينيَّةً ومُضْمَرَاتٍ ثَقَافِيَّة بيئيَّةً، ففي "**قصيدة الجبل**" نرى ابنَ خفاجةَ يَشْحَنُ قصيدَتَهُ بمظاهرِ الأنْسَنَةِ التي جعلها للجَبَلِ الكبيرِ، فجعلَهُ يُعَبِّرُ عن نَظْرَةٍ وُجُودِيَّةٍ في الحياة، لم يَكُن الجبلُ نَفْسَهُ هو الذي يَتَحَدَّثُ، وإنما هي روحُ الشاعرِ المُنْهَكَةِ مِنْ تَقَلُّبَاتِ الحياةْ، وفقْدِ الأحبَّةِ والاشتياقِ إليهم، وطَرَحَ فِكْرَةَ الفَنَاءِ التي هي قَدَرٌ لِجَمِيعَ الخَلْقِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عن اختلافاتهم، وأنَّ المَوْتَ والرَّحِيلَ قَادِمٌ للجميع: [من البحر الطويل]

15) وَقالَ أَلا كَم كُنتُ مَلجَأَ قاتِلٍ ... وَمَـــــــــوطِنَ أَوّاهٍ تَبَتَّلَ تائِبِ
16) وَكَم مَرَّ بي مِن مُدلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ... وَقالَ بِظِلّي مِن مَطِيٍّ وَراكِبِ
17) وَلاطَمَ مِن نُكبِ الرِياحِ مَعاطِفي ... وَزاحَمَ مِن خُضرِ البِحارِ غَوارِبي
18) فَما كانَ إِلّا أَن طَوَتهُم يَدُ الرَدى ... وَطارَت بِهِم ريحُ النَوى وَالنَوائِبِ
19) فَما خَفقُ أَيكي غَيرَ رَجفَةِ أَضلُعٍ ... وَلا نَوحُ وُرقي غَيرَ صَرخَةِ نادِبِ
20) وَما غَيَّضَ السُلوانَ دَمعي وَإِنَّما ... نَزَفتُ دُموعي في فِراقِ الصَواحِبِ
21) فَحَتّى مَتى أَبقى وَيَظعَنُ صاحِبٌ ... أُوَدِّعُ مِنهُ راحِـــــــــلاً غَيرَ آيِبِ

نَقَلَ لَنَا تَجْرِبَةَ الحياةِ الوُجُودِيَّةِ وكأَنَّ هذا الجَبَلَ هو الدُّنْيَا، وصوتُ المُتَكَلِّمِ هي روحُ الشاعرِ التي ترى أَنَّ الدُّنْيَا ما هي إلا مَحَطَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ للإنسان، يَقْتُلُ فيها أو يَتُوبُ ويَتَبَتَّلُ، يُقِيمُ بِها قَلِيلًا ثُمَّ يَذْهَبُ، دُنْيَا تَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا الأَجْيَالُ والأَجْيَالُ، أَجْيَالٌ تَأْتِي وَأَجْيَالٌ تَذْهَبُ [من البحر الطويل]

21) فَحَتّى مَتى أَبقى وَيَظعَنُ صاحِبٌ ... أُوَدِّعُ مِنهُ راحِـــــــــلاً غَيرَ آيِبِ
22) وَحَتّى مَتى أَرعى الكَواكِبَ ساهِراً ... فَمِن طالِعٍ أُخرى اللَيالي وَغارِبِ

وها هو في قصيدة " **أرض الأندلس**" يَطْرَحُ لنا فكرةً ورُؤْيَا قَوَامُهَا أنه مَهْمَا اكتمل شيءٌ إلا وبدأ في النُقصان مهما طال، ففي القسم الأول من القصيدة يتَحَدَّثُ عن الحياة الدنيا وزُخْرُفِهَا وإغرائِهَا للناس كأنها جَنَّةُ الخُلْدِ: [من البحر البسيط]

1) يَأَهـــــــلَ أندَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ... مـــــــــــاءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجارُ
2) ما جَنَّةُ الخُلدِ إلّا في دِيارِكُمُ ... وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ
3) لا تَختَشوا بَعدَ ذا أن تَدخُلوا سَقراً ... فَلَيسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ

يُذَكِّرُنا هذا الكلامُ بصاحبِ الجَنَّةِ في سورة الكهف عندما اغْتَرَّ بِجَنَّتِهِ ونَسِيَ يَوْمَ الحِسَابَ: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾ الكهف [35]، **فجاء جَنَّتَهُ صَرِيمٌ جَعَلَهَا مُدَمَّرَةً:** ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ الكهف [42]، **كذلك حَلَّ بأرض الأندلس " بَلَنْسَيَة" حتى إنَّ الذي يَرَاهَا مِنْ أهلِهَا بَعْدَ تدميرها لا يَعْرِفُهَا ويُنْكِرُ أَنَّهَا هِيَ:** [من البحر الكامل]

4) عاثتْ بساحتِك العِدَا يا دارُ ... ومَحَا مَحاسنَكِ البِلَى والنارُ
5) وإذا تردّد في جَنابِك ناظرٌ ... طال اعتبارٌ فيك واستِعبارُ
6) أرضٌ تقاذفَتِ الخُطوبُ بأهلِها ... وتمخَّضَـــــــــــــتْ بخرابِها الأقدارُ
7) كتبتْ يدُ الحِدْثانِ في عَرَصاتِها: ... "لا أنتِ أنتِ، ولا الدّيارُ ديارُ

وقد صَدَقَ فيها قولُ الشاعرِ **أبي البَقَاءِ الرُّنْدِي (601-684هـ)**[1] إذْ قال: [من البحر البسيط]

1) لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تَمَّ نُقْصَانُ ... فلا يُغَرَّ بِطِيبِ العيش إنْسَانُ
2) هي الأمورُ كما شاهَدْتَها دُوَلٌ ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
3) وهـــذه الدارُ لا تُبقي على أحدٍ ... ولا يدومُ على حالٍ لها شَانُ

---

[1] أبو البقاء صالح بن يزيد الرُّنْدِي، رثاء الأندلس، تح: عيسى بن محمد الشامي، كنوز الأندلس (د-ب)، (د-ت)، ص 29.

أما في قصيدة " **شجرة الأراكة**" تَتَجَلَّى لنا قيمةُ الشجرةِ عُمُومًا ومكانتُها في الطبيعة وعندَ البشر، وقد صَوَّرَهَا الشاعرُ امْرَأَةً حَسْنَاءَ لِمَا تَدُرُّهُ مِنْ خَيْرٍ وعَمَلٍ نافعٍ تَنْفَعُ به غيرَها كما تَفْعَلُ المرأةُ العَامِلَةُ بِجِدٍّ، وشجرةُ الأراكة هذه تُحيلنا إلى أربعِ أشجار في الدين؛ أمّا جمالها وظلالها فتحيلنا إلى **شجرة طُوبَى** التي يسير الراكبُ تحت ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ ولا يَقْطَعُهَا- أي لا يستطيع الخروج من ظِلِّهَا-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرعد [29-43]، وأمّا في الأمان فهي تُحِيلُ إلى **شجرة زكريا عليه السلام** تلك الشجرة التي نَادَتْهُ لِيَحْتَمِيَ ويَخْتَبِئَ داخِلَهَا حمايةً مِن الكُفَّارِ الذين لَحِقُوا به لِيَقْتُلُوه، أمّا في نَفْعِهَا وجَذْوَلِهَا الذي يَجْرِي تحتها فهي تُحِيلُ إلى **نخلة السيدة مريم عليها السلام**: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ مريم [23-25]، وأمَّا كَوْنُها مكانَ تَجَمُّعٍ لِمُخْتَلَفِ الشرائح على اختلافات غاياتهم ومرجعياتهم فهي تُحِيلُنَا إلى **شجرة السَّمُرَة** تلك الشجرة التي بَايَعَ تحتها المؤمنونُ الرسولَ ﷺ، وأمَّا طِيبَتُهَا وَرُسُوُهَا في الأرضِ وعُلُوُّهَا في السماء يُحِيلُنَا إلى **الشجرة الطيبة** في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ إبراهيم [24]، لقد مَنَحَت الشجرةُ الجميعَ فوائدَ مِمَّا جَعَلَهَا مَرْكَزًا إيكولوجيًّا يَحْظَى بالاستدامةِ والحُبِّ.

وأمّا " **قصيدة الذئب**" فقد حَمَلَتْ جَمَالِيَّةً بيئيَّةً تَتَمَثَّلُ في المركزية الحيوانية التي تُقَدِّسُ الحيوانَ وتَجْعَلُهُ مَرْكَزًا ولا تُؤْذِيهِ حتى لو كان يؤذيها، أو تَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُؤذيها، ومَثَلُ قِصَّةِ الشاعر مع الذئب كَمَثَلِ قِصَّةِ **الذئب والجداء السبعة** المشهورة، فالجِدَاءُ هم أهلُ القريةِ والديارِ الذين يزورهم الذئبُ كُلَّ حينٍ ويَفْتِكُ ببعضهم على حين غَفْلَةٍ ولا يَضَعُونَ لِبَطْشِهِ حَدًّا، ولا يقتلونه بل يكتفون بالخوف والاختباء كُلَّمَا قابَلَهم، وتَحْمِلُ قِصَّةُ الذئبِ بُعْدًا معنويًّا آخرَ كأنَّما الشاعرُ يَقْصِدُ بالذئب "**الموتَ**" الذى يزور أهل القرية وسادة الديار والقصور، والحَضَرِ، وأهلَ المراعي والأدغال والغابات والفلاحين وعابري السبيل والمغامرين، ويَقْصَدُ بالفلاةِ والصحراءِ المُظْلِمَةِ **وقتَ الشِّدَّةِ والمِحَنِ**؛ كالمرض الشديد أو الإصابة بِمَكْرُوهٍ أو مُصِيبةٍ مِنْ مَصَائِبِ الحَيَاةِ، فالشاعرُ رُبَّمَا وَقَعَ به حادثٌ أو مَكْرُوهٌ وهو يَسْرِي في الفلاةِ لَيْلًا كاد يُنْهِي حَيَاتَهُ ويَمُوتُ، فَشَبَّهَ حالتَهُ بالرَّجُلِ الذي جاءه ذئبٌ يَتَرَبَّصُ بِهِ طَوَالَ الليل ومَعْلُوم أنَّ المَرَضَ والمَصَائِبَ تَبْدُو أَشَدَّ وأقوى ليلًا، وأن أكثرهم يَمُوتُونَ في الليل، وهو مَا قَصَدَ السادات أهل القصور والأغنياء والديار

الفقراء على حَدٍّ سواء، فالموت لا يُفَرِّقُ بينهم فهو يَقْصِدُ الجميعَ دونَ تَمْيِيزٍ ولا يستطيعون رَدَّهُ ولا فِعْلَ شيء له: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران [185]، وأنَّ قصورَهم وديارَهم لن تحميَهم منه أبدًا: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ ﴿٧٨﴾ ﴾ النساء [78]، والشاعر كأَنَّهُ كاد أنْ يَمُوتَ في سَرْبِهِ لَيْلاً وأصبحتْ عيناه تكشفان حالةً من الخوف والرهبة والمصيبة قال: [من البحر الكامل]

7) فَعَشَوتُ في ظَلماءَ لَم تُقدَح بِها ... إلّا لِمُقـــــــــــــلَتِهِ وَبَأســـــــي نارُ

ويُمَثِّلُهُ قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ ﴿١٩﴾ ﴾ الأحزاب [19].

خلاصة الفصل التطبيقي

إنّ ابنَ خفاجةَ من شعراء الطبيعة ويُعَدَّ شِعْرُهُ شِعْرًا بيئيًّا لأنَّهُ تَوَافَقَ مَعَ أَغْلَبِ مَعَايِيرِ لورنس بويل النقدية البيئية، وقد كانت القصائدُ الأربعةُ المُختارةُ أنموذجًا صالحًا للنقد البيئيّ وذلك بَعْدَ تَمْرِيرِهَا على المَعَايِيرِ النقدية لبويل.

لقد حَمَلَت القصائدُ المختارةُ –(الجبل، أرض الأندلس، شجرة الأراكة، والذئب المُتنَكّر في الظلام)– مقولاتِ النقد البيئي وكانت بارزةً فيها عدة مقولات أهمها: (الخيال البيئي، الوعي البيئي، مبدأ الأنا والآخر، الأَلْسَنَةُ والأَنْسَنَةُ، النظرة الحالمة للطبيعة غير المُهددة، الإبادة البيئية الاستدامة، المركزية البيئية، الحِسّ المكانيّ...).

لقد استطاعَ الشاعرُ التعبيرَ عن أفكارِهِ ورُؤَاهُ الدِينيَّة والوُجُودِيَّة والفلسفيَّةَ بواسطة شِعْرِهِ، ممَّا جَعَلَهُ شِعْرًا زَاخِرًا بالمادَّة الطبيعية التي تُتِيحُ للناقد البيئيّ دراستَهَا والكَشْفَ عن المُضْمَرِ مِنْهَا فِيهِ.

الخاتمة

بعد الخوض في الجانبين النظري والتطبيقي والبحث مُطَوّلًا فيهما، يُمْكِنُ في الأخير استخلاصُ ما تَمَّ التَّوَصُّلُ إليه من نتائجَ بَحْثِيَّةٍ في خاتمةٍ مُوجَزَةٍ:

أمّا في الجانبِ النظريّ فقد تَمَّ التَّوَصُّلُ إلى:

- الأدب رسالة إنسانية قادرةٌ على إثارة المشاعر، والتَّنْبِيهِ لِمَا تُعانيه الطبيعةُ من مشاكلَ، وخَلْقِ وعي بيئيّ، وإنّ التلازمَ الحاصلَ بين الأدب والنقد مُحَرِّكٌ لِظهورِ النقد البيئي.
- إنَّ المسؤولية الاجتماعية تُجاهَ البيئةِ والاهتمام بمشكلاتها والأخطار المُحدقة بها، نَبَّهَ النُّقَّادَ والأدباءَ إلى حجم تلك المخاطر هو السبب في ظهور دراسات تهتم بالبيئة ومختصة في الإنتاج الأدبي.
- النقد البيئي أو الإيكولوجي حقلٌ جديدٌ في الساحة النقدية، وكان ويليام روبيرت أول ناقد قام بتوطين مصطلح " النقد البيئي" سنة 1978م.
- مَثَّلَتْ تسعينات القرن العشرين ذروة انتشار النقد البيئي في أوروبا وأمريكا، وكان لورنس بويل وشيريل جلوتفيلتي، ودانا فيليبس، وجورج جرارد من أشهر النقاد البيئيين.
- يَكْشِفُ النقدُ البيئيُّ علاقةَ الربط النصية والخطابية وعلاقة التأثير والتأثر بين الأدب والطبيعة والأرض والمكان والبيئة.
- يَتَّسِمُ النقدُ البيئيُّ بدورٍ مُهِمٍّ في إحداث وعي بيئي، وتَعهُد أخلاقي وجمالي اتجاه المشكلات البيئة.
- لا يَقِفُ النقدُ البيئيُّ على نصوص أدبية جديدة فحسب، بل يبحث في التراث الأدبي ويَسْتَكْشِفُ الوعيَ البيئيَّ فيه.
- تُمَثِّلُ مقولاتُ النقد البيئي المفتاحَ الذي يلج به الناقد البيئي في عوالمِ النص وتأويل مضمراته البيئية.
- لا يكون النص قابلًا للدراسة البيئة إلا إذا توفر على معيارين أو ثلاثة من المعايير لورنس بويل الأربعة.

وأمّا في الفصل التطبيقي فقد تَمَّ التَّوَصُّلُ إلى:

- الأندلس جنة الله في خلقه وهي الفردوس الذي تَغَنَّى بها الشعراءُ في قصائدهم وعلى رأسهم الشاعر ابن خفاجة الأندلسي.

- القصائد الأربعة المختارة من شعر الطبيعة الأندلسي لابن خفاجة توافقتْ مع المعايير النقدية البيئية للأدب.
- مثَّلَتْ قصيدةُ « الجبل » أبرزَ القصائد التي تَصِفُ البيئةَ الصامتةَ، حيث صَوَّرَ الشاعرُ الطبيعةَ ومظاهرَها على أنها شَيْخٌ حَكيمٌ طاعِنٌ في السِّنِّ، وقد تَمَثَّلَتْ في قصيدة الجبل بعضُ مقولاتِ النقد البيئي منها: (مبدأ الأنا والآخر)، كما اشتملت على مَقُولَتَيْ (الألسنة والأنسنة)، كما احتوت قصيدة « الجبل » على الوعي البيئيّ وغلب فيها الروحيّ على المادّيّ.
- قصيدة " أرض الأندلس" هي ثاني قصائد البيئة الصامتة وأكثرها تَصْوِيرًا لجمال هذه الأرض ذات الأشجار والأنهار والحدائق ذات البهجة، وقد تمظهرتْ في قصيدة أرض الأندلس " عدة مقولات بيئية أبرزها: (النظرة الحالمة غير المهددة للطبيعة)، كما عالج فكرة (الإبادة البيئية) وصَوَّرَ أضرارَها.
- من قصائد البيئة الحية قصيدة "شجرة الأراكة" التي رَسَمَهَا الشاعرُ بالكلمات ومَثَّلَهَا بالحَسْنَاءِ البِكْرِ، لقد حَمَلَتْ قصيدةُ " شجرة الأراكة" (استدامةً) تَكْمُنُ في الحفاظ على مواردِ البيئة وتَرْشِيدِ استخدامها، كما تمظهرتْ فيها مَقُولَةُ (النظرة الحالمة غير المهددة للطبيعة والمركزية البيئية).
- رَسَمَتْ قصيدةُ " الذئب المتنكر في الظلام " أبرزَ خصائص وميزات البيئة الحية غير المُرَوَّضَة، فصَوَّرَ ابنُ خفاجةَ وقائعَ لنظامٍ بيئيّ يَصِفُ علاقةَ المفترس بالفريسة، وكان (الخيال البيئي والاستدامة) أبرزَ المقولات التي بَرَزَتْ في قصيدة "الذئب المتنكر في الظلام".
- قصيدة "شجرة الأراكة" حَمَلَتْ (فكرة احتواء الجميع على اختلافاتهم)، أما قصيدة "الذئب المتنكر في الظلام " فقد حَمَلَتْ جماليَّةً بيئيَّةً تَتَمَثَّلُ في (المركزية الحيوانية) التي تقوم على تقديس الحيوان.
- لقد تَجَلَّى الوعيُ البيئيُّ في شعر ابن خفاجة في طَرْحِهِ أفكارًا بيئيَّةً منها: (الاستدامة، الإبادة البيئية)، وتمظهرات لمقولات النقد البيئي ومصطلحاته الإجرائية (الأنا والآخر، النظرة الحالمة للطبيعة غير المهددة، الخيال البيئي، تغليب الجانب الروحيّ على الجانب الماديّ...)، كذلك تَجَلَّى في قُدْرَتِهِ الفائقة في استخدام الخيال البيئيّ في تَصْوِيرِ

عناصرِؤالطبيعة وأَنْسَنَتِهَا بُغْيَةَ طَرْحِ أَفْكَارٍ بيئيّةٍ ورؤًى فلسفيَّةٍ تُمَثِّلُ نَظْرَتَهُ للحياة، ومشاعرَهُ تُجاهَ بيئَتِهِ وكائناتِها.

- من الرؤى الفلسفية والجمالية والدينية الموجودة في شعر ابن خفاجة: (النظرة الوجودية للحياة، وفكرة الفناء والموت)، كما في قصيدة الجبل، وفي قصيدة أرض الأندلس جاء بفكرة (لكل شيء إذا ما تم النقصان، والإبادة البيئية) وحَمَلَتْ معنى قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم [41].

في الأخير يُمْكِنُنَا القولُ إننا حاولنا جاهدين أنْ نُقَدِّمَ لكم هذا البحثَ المتواضعَ، الذي هو مُجَرَّدُ مُحَاوَلَةٍ، فاسحِينَ المجالَ أمامَ بحوثٍ أخرى تَكُونُ أشملَ وأكثر إلمامًا بهذا الموضوع، إنْ كان الشعرُ العربيّ القديمُ يَحْمِلُ هذه الأفكارَ البيئيّةَ وأصحابُهُ لم يُعاصروا التغيرات البيئة، فكيف يا تُرى يَتَجَلَّى الوعيُ البيئيُّ في الشعر والنثر المعاصرَيْنِ اللّذَيْنِ يُعاصرانِ تحولات وتغيرات وكوارث بيئية لم يُشْهَدْ لها مَثِيلٌ من قَبْل؟ فَنُوصِي الباحثِينَ بالاهتمام بالأدب البيئيّ (أدب الطبيعة، أدب الكوارث، وأدب الأوبئة)، كما نوصيهم بالاهتمام بالنقد البيئيّ والتعريف به وتطبيق آلياته على النصوص الشعرية والسردية القديمة والمعاصرة على حد سواء، وفي الأخير نقول هذا تمامُ بحثِنَا وما هو إلا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ، إنْ كان هذا البحثُ جيّدًا فهو توفيق وفَضْلٌ من الله ﷻ، وإن كانَ غيرَ جيّدٍ فما هو إلا تَقْصِيرٌ مِنَّا، فالحمدُ للهِ على الإتمام والصلاة والسلام على الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرِ الأَنَامِ، وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ والتابعين الكِرام، بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وسَلَامٌ على المُرْسَلِينَ والحَمْدُ للهِ ربِّ العالمِينَ.

قائمة الملحقات

قائمة الملحقات

الأندلس:

الأندلس اسم أطلقه العرب على **شبه الجزيرة الإيبيرية**، واسم **(إيبيريا IBERIA)** من الإغريقية، وأطلقوا عليها اسمًا آخر هو إسبانيا **(ISPANIA)**، ولما دخلها الرومان صار اسمها **(HISPANIA)**، وهو في رأي بعض المؤرخين الإسبان مأخوذ من كلمة ذات أصل فينيقي، إنَّ الأندلس اسم له صلة باسم قبائل الوندال التي سكنت البلاد بعد الرومان، وغُيِّر الاسم من **(VANDALOS)** إلى **(WANDALOS)**، واتُّخِذ سَمتًا عربيًّا فقيل: الأندلس، أو بلاد الأندلس.

إذًا فقد أطلق العرب الأندلس على شبه الجزيرة الإيبيرية عندما فتحوا البلاد وتم ذلك الفتح في القرن الأول للجرة الثامن للميلاد على يد موسى بن نُصَيْرٍ والي المغرب وطارقٍ بن زياد، وتعاقب عليها الحكم من قِبَل الأمويين، ملوك الطوائف، وبني الأحمر، وانتهى الحُكم العربي في الأندلس بسقوط غرناطة قاعدة بني الأحمر في حوزة فرديناند الثاني سنة (897هـ/1492م).

إن الحُكْمَ الإسلاميَّ لشبه الجزيرة الإيبيرية قد محا اسم إسبانيا تمامًا، وشاع استعمال اسم الأندلس، وتم تدوينه في المؤلفات العربية الأندلسية، المغربية، والمشرقية؛ في الوثائق التاريخية، الرحلات وكتب الجغرافيا، وقد بقيَ هذا الاسم في إسبانيا الحديثة بعد أن أخذ صورة أندلُسيَا أو أندلوثيَا **(ANDALUCIA)**، وهي التي تضم أقاليم منها؛ (ألمرية، غرناطة، مالقة، جِيَّان، قرطبة، إشبيلية، قادس، وولبة).

صورة لخريطة الأندلس:

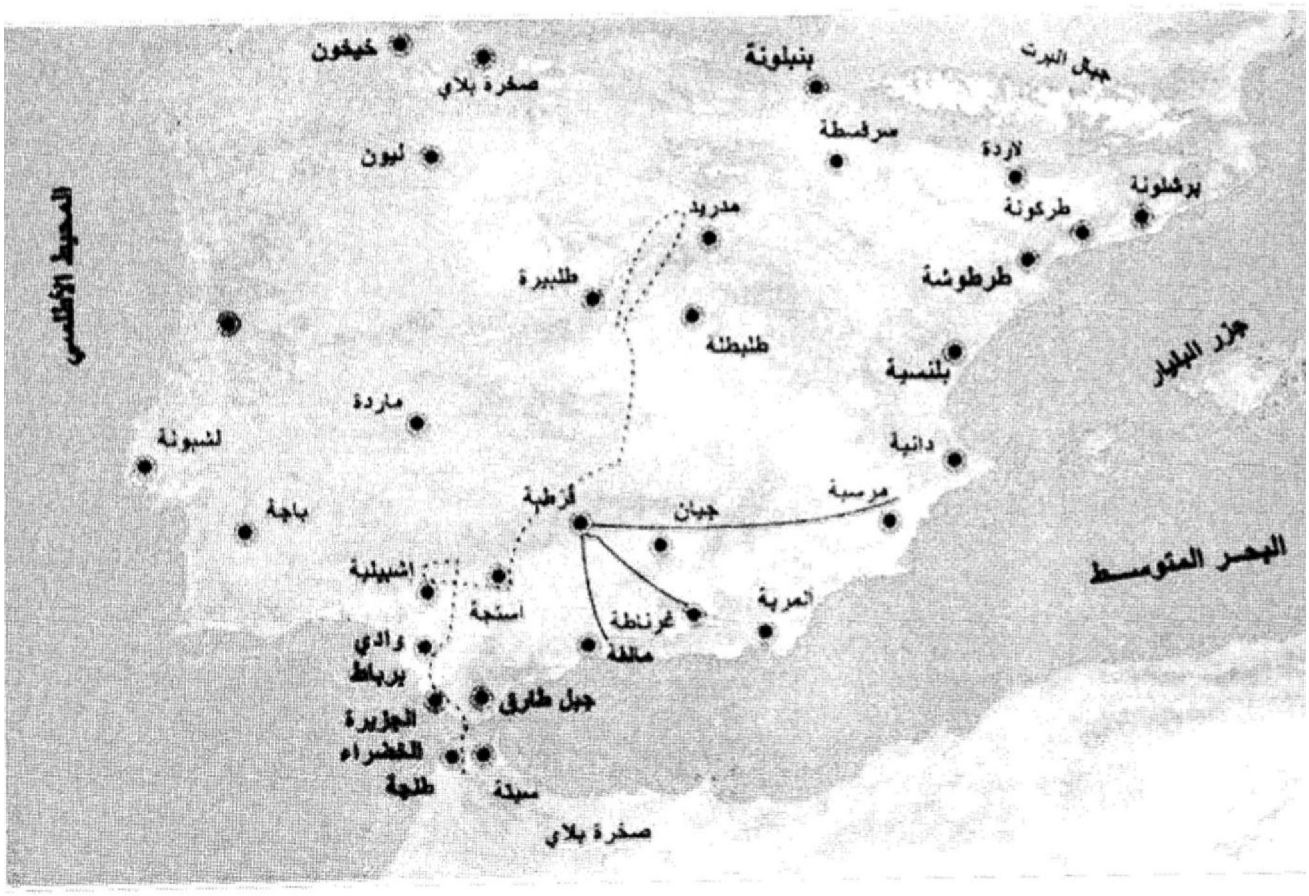

خريطة رقم (1) خط سير طارق بن زياد

مدينة شَقْر:

جزيرة شَقْر مثلثة الفاء وساكنة القاف والراءُ مهملة؛ هي بُليدة بين شَاطِبَةَ بَلَنْسِيَةَ، وإنما قيل جزيرة لأن الماء محيط بها، وهي من أعمال بَلَنْسِيَةَ الأندلسية، ومدينة بَلَنْسِية بفتح الباء الموحدة وفتح اللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها، وتسمى الآن في الدولة الإسبانية الحديثة باسم (ألزيرة ALCIRA)، وهو اسم محرف عن كلمة الجزيرة يبلغ عدد سكانها حاليًّا قرابة 45000 نسمة.

خريطة مدينة شقر:

ابن خفاجة:

هو الشاعر الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر، ولد عام(450هـ/ 1058م) ولد بجزيرة شَقْر من أعمال بلنسية من بلاد الأندلس، وقد كان الشاعر ابن خفاجة مقيمًا في شرق الأندلس، نبه صيته في عصر دولة المرابطين بعد زوال دولة بني أمية والدولة العامرية، كان شاعرًا، وكاتبًا مترسلًا، وكان وَصَّافًا للطبيعة التي ربَّتْهُ بجمالها، فَعَمِلَ بجميع قواه العقلية والخيالية في التعبير عنها، فقال فيها شِعْرًا غزيرًا، وتفرّد بوصفها ولا سيما أنهارها وأزهارها وبساتينها ورياضها ورياحينها حتى لَقَّبَهُ أهلُ الأندلس بالجَنَّان، وقد تُوفّيَ فيها سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمئةٍ لأربعٍ بَقِينَ من شوّالٍ يوم الأحد رحمه الله تعالى.

قيمة شعره:

يُعدُّ شعرُ ابنَ خفاجة ذا قيمةٍ فنية كبيرة وفريدة في الشعر العربي ليس له نظير، حتى عَدَّهُ النُّقَّادُ مَدْرَسَةً فنيةً قائمةً بذاتها، وكُلُّ مَنْ كان يَتَّجِهُ تَوُّهَهُ يقولون عنه فيه النزعة الخفاجيّة، وشعر ابن خفاجة هو شعر الطبيعة الزاهية، النابضة بالحياة، هو شعر الجِنان والمتنزهات، يُصوِّرها تصويرًا دقيقًا، حافلًا بالرقة واللين والأصباغ، ويسير في نعومة النسيم، وعَبَق الرياحين، على توقيع الأغصان المُتَمَايِلَةِ، والأنوار المتهادية، والمياه المترقرقة والأطيار المغردة، إنَّ شِعْرَ ابنِ خفاجةَ ذو طابع عذب وأسلوب ساحر أخّاذ، فهو شاعر الشعور الحيّ الذي يتغلغل في الطبيعة، ويضفي عليها طابع الأنسنة والتشخيص، فإذا الأزهار والأشجار ألسنة حديث، وثغور ابتسام، وإذا النسيم أنفاس نجوى...، هو شاعر الفن والجمال وشاعر الطبيعة حتى قال فيه **إميليو غومس**(1905-1995م): ((طار صيت ابن خفاجة بما أنشأ من الشعر في وصف الحدائق والرياض حتّى لُقِّب بالجَنّان...))، وهكذا كان أثره عظيمًا، وظلت الطريقة الخفاجية مُحْتَذَاةً حتى أواخر أيام مملكة غرناطة، وابن خفاجة وابن الزقاق يُعَدَّانِ الذروةَ العُليا للشعر العربي القديم في الأندلس، ولا نجد بعدهما إلا تَكرارًا وانحدارًا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة الصادر والمراجع

*- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح عبد الله بن خفاجة الأندلسي، ديوان ابن خفاجة، تح: مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية - مصر - 1960م.

2- أبو البقاء صالح بن يزيد الرُّنْدِي، رثاء الأندلس، تح: عيسى بن محمد الشامي، كنوز الأندلس (د-ب)، (د-ت).

3- أبو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، لبنان، (ط-5)، (ج1)، 1981/م1401هـ

4- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فرازة الليثي الكناني البصري المعروف بالجاحظ، الحيوان تح: عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي، القاهرة، (ط-2)،1965م، (ج4).

5- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ديوان المعاني، شرح وتحقيق أحمد حسن يسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط-1)،1414هـ/ 1994م، (ج1).

6- أحمد بن الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، هنداوي، (د-ب)، 2018م.

7- أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، مجلد (ط-1)، 1429هـ/2008.

8- أعضاء كتابة الدولة المكلفة بالماء والبيئة، مصطلحات البيئة والتنمية المستدامة معجم عربي فرنسي، مجلة جغرافيا المغرب، المغرب الأقصى، (د-ت).

9- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، (د-ط)، 1429 هـ 2008 م.

10- إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط-2)، 1417هـ / 1996م.

11- بنين سمير عيسى النقد الأدبي البيئي، مقدمة في النظرية والإجراء، مجلة العدد 57 ماي 2024، العراق.

12- جبوري غزول، علم البيئة، ترجمة رشا صلاح الدخاخني، هنداوي، (د-ب)، 2023م.

13- جرج جرارد، النقد البيئوي، تر: عزيز صبحي، جابر الكلمة، أبو ظبي، (ط-1)، 1430 هـ / 2009م.

14- جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، دار النابغة للنشر والتوزيع، المغرب،2016م.

15- خميسي آرامي، مقالة عنوانها: من أجل لغة خضراء محاولة في فهم أدب البيئة ونقده"، مجلة أبوليوس المجلد 08 جويلية 2021.

16- دانا فيليبس وآخرون، النقد البيئي " مقدمات مقاربات تطبيقات تر: نجاح الجلبي دار شهريار، العراق، (ط-1)، 2020م.

17- رشيد الحمد محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، الكويت، 1979م.

18- زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، (د-ت).

19- سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، 1945م، ص14، نقلاً عن B,Brown: The Fine Arts: 1920p.7.

20- عبيد جودت عبد الحافظ، النقد البيئي ونظرية الأدب دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة، نور المعرفة، عمان، (ط-1)، 2023م.

21- علي حسن فاعور، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط-1)، 1988م.

22- فاطمة الزهراء محمد فوزي، النقد الأدبي البيئي " قراءة جديدة في الشعر القديم، دار الأدهم للنشر والتوزيع، مصر، (ج1)، (ط-1)، 2019م.

23- لورنس بويل وآخرون، القد البيئي بين التنظير والتطبيق، تر: معتز سلامة، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، 2021م، 1444هـ.

24- محمد أبو الفضل بدران، مقالة بعنوان: أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية (د-ت).

25- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (630/711هـ)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (ط-1)، (د-ت).

26- محمد جبار هاشم الجبوري، أطروحة دكتوراه بعنوان فقه البيئة في الشريعة الإسلامية، جامعة الكوفة، العراق، (1432هـ/2011م)، ص 50، نقلا عن البخاري، صحيح البخاري 7/78.

27- محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، لبنان، (ط-1)، 2000م،1421هـ.

28 – ناجح المعموري وآخرون، مجلة الأديب العراقي، العدد 25، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، العراق، 2020م، ص19.

29- هاني علي سعيد محمد النقد الأدبي البيئي، ص463، نقلاً عن عبد الحميد أحمد الحسامي " الضباب أتى ... الضباب رحل، قراءة من منظور بيئي، مجلة علامات في النقد الأدبي، مجلة الحكمة النادي الأدبي الثقافي، جدة، مج: 7، فبراير 2009م/ صفر 1430هـ.

30- هاني علي سعيد، النقد الأدبي البيئي قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية وممارسة على قصة رأيت النخل، رضوى عاشور، مجلة 26 يناير 2022، (د-ب).

31- وداد نوفل، النقد البيئي الإيكولوجي بين التأصيل والتأسيس والمفاهيمي والطرح التطبيقي " رواية القندس أنموذجاً"، الريادة للنشر والتوزيع، مصر (د-ط)، 2022م.

المُلخّص

تناول هذا البحث المتواضع المكون من فصلَيْنِ جانبًا نظريًّا تأصيليًّا للنقد البيئي في فصله الأول، حيث تطرق إلى سياق ظهور هذا المنهج والخلفيات الفلسفية والفكرية التي انبثق منها، وتعرَّضَ لمفهوم النقد البيئي وأهم تسمياته ومصطلحاته، كما تَمّ التَّطَرُّق إلى أبرز مقولاته التي يَتَّكِئُ عليها في تحليله للنصوص الأدبية، مع البحث عن ملامح هذا النقد في النقد الأدبي العربي القديم.

وتناول في الفصل الأخير دراسةً بيئيةً لأربعِ قصائدَ وهي على التوالي قصيدة " الجبل"، "أرض الأندلس"،" شجرة الأراكة "، و" الذئب المتنكر في الظلام"، للشاعر ابن خفاجة الأندلسي، حيث ترمي إلى كشف الوعي البيئي لدى الشاعر، واستنطاق مضمرات قصائده البيئية، التي تُعَدُّ تحفةً فنيّةً تُصَوّرُ بالكلمات جَمَالَ الطبيعةِ الأندلسية الأخَّاذَ، بأشجارها وأنهارها، وكائنتها، وجبالها، ورياضها الغَنَّاء، وتَسْرُدُ وقائعَ لنظامٍ بيئيّ مُتَكاملِ، وحَيَوِيّ في بلاد الأندلس.

كما حاول في هذا الفصل دراسة تمظهرات مقولات النقد البيئي في القصائد الأربعة المختارة، مع تمريرها على معايير لورنس بويل، واستنباط الوعي البيئي والقيم البيئية، والجمالية والفلسفية، بالارتكاز على الدلالة التي يحملها بناؤُهَا اللغويُّ، وقد جاء هذا البحث وفق النقد البيئي، الذي يتناسب مع هذا النوع من التحليل، حيث يقوم على كَشْفِ علاقة الربط بين الأديب والأدب والبيئة.

الكلمات المفتاحية:

أدب، نقد، شعر، دراسة، بيئة، جمال، طبيعة، وعي، إيكولوجيا، دلالة، الأندلس.

Abstract:

This modest research, consisting of two chapters, addresses a theoretical and foundational aspect of environmental literary criticism in its first chapter. It examines the context in which this approach emerged and the philosophical and intellectual backgrounds from which it emerged. It also examines the concept of environmental criticism and its most important terms and concepts. It also examines its most prominent propositions, which it relies on in its analysis of literary texts, while exploring the features of this criticism in ancient Arabic literary criticism.

The final chapter presents an ecological environmental study of four poems: "The Mountain," "The Land of Andalusia," "The Arak Tree," and "The Wolf Disguised in the Dark," by the Andalusian poet Ibn Khafaja. The study aims to reveal the poet's environmental awareness and explore the implications of his environmental poems, which are artistic masterpieces that depict in words the captivating beauty of Andalusian nature, with its trees, rivers, creatures, mountains, and lush meadows. It recounts the events of an integrated and vital ecosystem in Andalusia.

In this chapter, I attempt to study the manifestations of ecocritical themes in the four selected poems, applying them to Lawrence Boyle's

criteria. Environmental awareness, environmental values, aesthetics, and philosophy will be derived based on the connotations conveyed by their linguistic structure. This research follows an environmental approach, which is appropriate for this type of analysis, as it is based on revealing the connection between the writer, literature, and the environment.

Keywords:

Literature, criticism, poetry, study, environment, beauty, nature, awareness, ecology, significance, Andalusia.

الفهرس

الفهرس

الصفحة	المحتوى
ب/ج	مقدمة
7	مدخل
8	مفهوم البيئة لغة واصطلاحًا
9	مكانة البيئة في فكر القدامى (اليونان والعرب)
13	علاقة الأدب بالبيئة
15	مفهوم الأدب البيئي ومعايير تبَيُّؤ النص الأدبي
17	خلاصة المدخل
19	الفصل الأول: الجانب النظري والإجرائي للنقد البيئي
20	مفهوم النقد البيئي
23	إرهاصات النقد البيئي ونشأته وتَطَور اهتماماته
28	مقولات النقد البيئي
33	ملامح النقد البيئي في النقد العربي القديم
36	خلاصة الفصل النظري
38	الفصل الأخير: تجليات الوعي البيئي في شعر ابن خفاجة الأندلسي
44	تمرير شعر ابن خفاجة على معايير لورنس بويل
48	وصف الطبيعة الصامتة والحية وتجليات الوعي البيئي فيهما
58	الرؤى الجمالية والفلسفية في شعر ابن خفاجة الأندلسي
62	خلاصة الفصل التطبيقي
65	الخاتمة
70	قائمة الملحقات
76	قائمة المصادر والمراجع
80	الملخص
85	الفهرس

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه [114]

ولا بُدَّ مِنْ حَمْدِ الإله فإنَّهُ ⁂ لدى البَدْءِ والإنهاء سَنًا وسَنَاءُ
وخيرُ صلاةٍ نستديمُ على الذي ⁂ هُداهُ لأدواءِ القلوبِ شفاءُ
وأزكى سلامٍ نجتليه لآلِهِ ⁂ وأصحابِهِ إذْ هُمْ بِهِ جُدراءُ
ونسْأَلُهُ عَفْوًا ونَيْلَ جِوارِه ⁂ غدًا وإلى ذا سارعَ السُعداءُ

تم بحمد الله تعالى